م

مسرح



دار سعاد الصباح

البؤساء

النص الكامل ترجمة د . سمير سرحان

المسرحية الموسيقية
التى تعرض على
جميع مسارح العالم





البؤساء

اهداءات ١٩٩٩
دار الجميل
القاهرة

البؤســــــــاء

مسرحية موسيقية . . . . . .

كلود مايكل شوبنرج - هربرت كرتنمر

تأليف : فيكتور هوجو

ترجمة وتقديم : د . سمير سرحان

دار سعاد الصباح
ص . ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
ص . ب . ١٣ المقطم - القاهرة
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠
٢٥ ش محي الدين أبو العز
ت ٣٤٩٧٧٧٩ - ٣٤٩١٧٢٧

رقم الايداع ٩٧١١ / ٩٢
I.S.B.N. 977 - 5344 - 41 - 7

الطبعة الأولى
١٩٩٣

الاشراف الفني : حلمي التوني

صاحب البؤساء

قليل من الكتاب حققوا شهرة واسعة وتأثيرا عميقا فى تاريخ الأدب مثل فيكتور هوجو . فهو يعتبر أشهر كاتب فرنسى فى القرن التاسع عشر ، أو هو أشهر كاتب فرنسى على الاطلاق ، وهو شاعر ، وروائى ، وكاتب مسرحى ، وكاتب للمقال الأدبى وفى مجال الرواية كتب حوالى ١٢ رواية بالاضافة الى البؤساء ، وهى الرواية التى طبقت شهرتها آفاق العالم ، ومازال يصدر منها حتى الآن عشرات الطبعات الجديدة فى كل اللغات .

وفيكتور هوجو مارس أيضا العمل السياسى وأنشطة الاصلاح الاجتماعى . واستطاع أن يحتفظ بتوازن دقيق بين أن يكون بطلا قوميا فى أوساط الطبقة العاملة ، وفى نفس الوقت صديقا للملوك والرؤساء يعاملهم معاملة الند للند . وكانت رؤيته المستقبلية فى غاية الدقة والوضوح ، فربما كان هوجو أول من بشر بحقوق المرأة وبقيام أوروبا المتحدة على أساس ديمقراطى ، ولعب دورا أساسيا فى خروج بلاده – فرنسا – من

مرحلة الديكتاتورية الى الديمقراطية .

وكان له تاثير واسع فى الفكر الاوروبى عموما ، إذ يقول أحد النقاد : إن الماركسية نفسها لم تكن لتظهر بالصورة التى عرفناها بدون تأثير فيكتور هوجو ، ورغم نظرته الإنسانية الشاملة واتصالاته العالمية ، إلا أنه كان فرنسيا من قمة الرأس الى أخمص القدم . وكان مع هذا كله كما يصفه الذين أرخوا لحياته من الكتاب والنقاد كتلة من المتناقضات ، فقد كان هذا الكاتب المدافع عن حقوق المرأة ، شديد التعدد فى علاقاته الجنسية ، وكان صاحب النظرة الإنسانية – على الأقل فى شبابه حتى منتصف عمره – رجلا متعجرفا ، وكان الانسان الرومانسى الحالم الذى يدافع عن الحب المثالى ، حسيا الى أقصى حد . وكان – كما يقول هيوبرت جوان ، الذى كتب التاريخ المعتمد لحياة هوجو – « نوعاً من المعجزة ، متعدد الجوانب ، فريداً فى بابه ، .. ووحشاً ! »

وقبل عصر وسائل الإعلام الجماهيرية من إذاعة وتلفزيون وصحافة ، كان هوجو ماهراً أشد المهارة فى ترويج نفسه وأعمالـه . وكان مهاجموه يقولون عنه أنه ليس أكثر من انتهازى فى مواقفه السياسية ونشاطه الأدبى ، وأنه يفصل آراءه تفصيلا لتناسب الظروف المتغيرة فى فرنسا القرن التاسع عشر . وهو قول يحمل شيئا من الصحة ، إذ انه بدأ حياته الأدبية بكتابة

قصائد المديح للعائلة المالكة الفرنسية ، وحاول فى أخريات حياته أن يعتنق الآراء الديمقراطية مخفيا بذلك بعض خطبه الرجعية التى ألقاها تحت قبة البرلمان ، كما أن اهتمامه الأصيل بالنزعات الإنسانية ، كان يأخذ الصبغة العاطفية أكثر من الصبغة السياسية ، إذ أنه كان ينبع من إيمان رومانسى عميق بوجود قوة إلهية عليا تثيب الخير وتعاقب الشر .

وكانت حياة فيكتور هوجو سلسلة من المواقف الرومانسية، تماما مثل الحبكات الثانوية فى رواياته العظيمة « البؤساء » وإذا كانت طفولة الإنسان هى البذرة التى تنمومنها شجرة حياته كلها فيما بعد ، لقد كانت طفولة هوجو موحية بكل ما حدث بعد ذلك فى حياته ، فقد كان لا يكاد يستقر فى مكان ، وكان ذلك فى عصر السفر فيه من الصعوبة بمكان ، فالسفر فى العربات التى تجرها الخيول ، فقد جاب هوجو أنحاء أوروبا مع أمه ، وكان دائم السفر إلى إيطاليا ، وأسبانيا .

وكانت أسبانيا فى ذلك الوقت تقاتل ضد الاحتلال الغاشم لقوات نابليون الفرنسية ، وكان والد هوجو - وهو ضابط فى جيش نابليون - أحد أفراد قوات الاحتلال التى كانت تحاول دائما سحق الحركة الوطنية فى أسبانيا . وبهذه الصفة كان يشارك الجنرال ليوبولد - سيجسبير هوجو - فى الكثير من أعمال

السلب والنهب التى تقوم بها قوات الاحتلال . ولم يكن بشعر بأى احساس بالذنب نتيجة لا قترافه الكثير من جرائم الحرب البشعة باسم فرض النظام والقانون . وكانت أحد الصور البشعة التى علقت بذهن الطفل فكتور هوجو إبان اقامته مع والده فى أسبانيا صورة الثوار الاسبان وهم معلقون على الاشجار على طول أحد الطرق الريفية ، وهى صورة ظلت محفورة فى وجدانه وظهرت بعد ذلك فى تصويره لنضال الثوار عند المتاريس فى « البؤساء » .

وبالاضافة إلى حرب التحرير الاسبانية ضد الاحتلال الفرنسى فقد شهد فكتور هوجو فى طفولته حربا أخرى داخل نطاق عائلته نفسها ، وهى الحرب بين أمه صوفى ، المؤمنة ايمانا مطلقا بالنظام الملكى ، وبين ابيه ليوبولد سيجسبير الذى بدأ حياته جنديا جمهوريا ثوريا لينتهى به الحال إلى جنرال مغمور فى جيش نابليون بأسبانيا .وهذا الصراع ، أو الحرب الدائرة بين الأب والأم ، بدأت فعلياً منذ ولادة فيكتور .

وبعد ولادة فيكتور بقليل ، تحولت مدام هوجو الكاثوليكية (المتعصبة) الى عشيقة متفانية للقائد السابق لكتيبة زوجها الجنرال فيكتور فانو لا هورى ، وبدأت علاقتها من عام ١٨٠٣ . وكان لاهورى أحد الضباط المشهود لهم فى الحروب

الاولى لنابليون ، ولكنه تحول إلى واحد من أشد المعارضين لتجاوزات نابليون فى أواخر حياته ونزوعه الأخير نحو الحكم الامبراطورى .

وقد اشترك لا هورى فيما بعد فى بعض المؤامرات ضد نابليون ، ولما انكشفت أمره اضطر للتفكير والهرب من مكان إلى مكان خوفا من البوليس السياسى الذى كان يحكم قبضته الحديدية على البلاد . أما الوالد ليوبولد هوجو فقد اتخذ لنفسه عشيقة بعد ولادة ابنه فيكتور بقليل ، ورفع قضية للحصول على الطلاق .

وكان فيكتور هوجو فى طفولته وسنوات مراهقته الاولى يأخذ جانب والدته ، وكان يعتبر عشيق امه لاهورى بمثابة والده بما كان يبديه تجاهه من حنان وكرم .

وقد حكم على لاهورى بالاعدام ، وتم تنفيذ الحكم فى عام ١٨١٢ بسبب اشتراكه فى مؤامرة لقلب نظام الحكم وأقصاء نابليون ، وكان حزن هوجو عليه أشد من حزن أمه نفسها .

ومنذ سنواته الاولى فى المدرسة ، كان واضحا أن فيكتور هوجو من نوع الطفل المعجزة ، فقد كان شديد التميز فى الفيزياء والرياضة والفلسفة إلى جانب الادب الفرنسى . وكان

يجيد اللاتينية واليونانية القديمة إجادة تامة ، وترجم فيرجيل وهوراس إلى شعر فرنسى جزل تفوق فيه تفوقا شديدا على النماذج التى كان يقدمها أساتذته . وكان يكتب الشعر بسهولة كما يتنفس ، أما سيطرته على اللغة الفرنسية فى هذه السن المبكرة فكانت مدعاة للدهشة والاعجاب . وكان أشهر شاعر فرنسى فى ذلك الوقت عندما كان هوجو فى سن الخامسة عشرة هو شاتوبريان ، وكان هوجو يحلم فى هذه السن المبكرة أن يصبح – كما قال هو – « شاتوبريان آخر أو لا شيء ! » .

وكانت التقاليد الأدبية التى تفرضها الاكاديمية الفرنسية فى ذلك الوقت شديدة الصرامة والمحافظة ، وفى ظل هذا الجو الادبى كتب هوجو أناشيد غنائية تلتزم بالقواعد الكلاسيكية الصارمة مثل : السعادة التى تبعثها فى النفس الدراسة والتحصيل ، وكوفىء على هذه الكتابات المحافظة – كما كانت العادة – بوضعه تحت رعاية الملك لويس الثامن عشر ، وكان ملكا طيب القلب مفرط السمنة يتفاخر بذوقه الادبى الرفيع ورعايته للفنون والاداب .

وكان أول مبلغ يكسبه هوجو فى حياته من الكتابة ، هو مبلغ خمسمائة فرنك دفعها له الملك من جيبه الخاص مكافأة على قصيدة كتبها عن الدوق دى بيرى الذى قتله أحد الجمهوريين

الثوريين واسمه لوفيل .

وتميزت الفترة الأولى من حياة هوجو بميوله الملكية الشديدة . أو كما قال هو فيما بعد : « لقد ولدت فى طبقة جعلت منى ملكيا منذ نعومة أظفارى » . وفى هذه الفترة كتب أشعارا يهاجم فيها فوليتر ، والشعراء المعادين للنظام الملكى ، وكان يتناول على ذلك راتبا قدره ألف فرنك فى العام من جيب الملك الخاص .

وفى تلك الفترة أيضا وقع فى حب أديل دى فوشيه ذات الستة عشرة ربيعا ، وكان ابنه من كبار الموظفين فى وزارة الحربية الفرنسية ، وخادما مخلصا أمينا للملك ، ولكن أمه صوفى هوجو ، التى كانت تعلق آمالا كبيرة على مستقبل ابنها الأدبى تدخلت لإنهاء هذه العلاقة حتى يتفرغ هوجو لفنه وكتاباته ، وقالت لابنها فيكتور : ان زواجه من أديل لن يتم إلا « على جثتها » ! ومع ذلك ظل فيكتور الشاب يكتب لها الرسائل الغرامية الملتهبه . وكان حبه اليائس لها وقودا لقصائده الرومانسية الأولى .

وفى هذه الفترة كان يكتب بانتظام فى المجلات الأدبية ، وبدأ يحقق شهرة كبيرة من خلال كتاباته للشعر ، والنقد الأدبى و « القطع الوجدانية » . كما بدأ فى تلك الفترة يجرب كتابة الروا[illegible]

فكتب روايته الأولى « جزيرة هان » مقلدا فيها أعمال السير والترسكوت ، وهى قصة رومانسيةموضوعها الحب المستحيل بسبب صراع العائلات ، وهو موضوع رومانسى شبيه بموضوع روميو وجوليت ، ولم يكن فيكتور هوجو فى هذه الفترة من حياته الأدبية قد بدأ يهتم بعد بالموضوعات الاجتماعية التى أصبحت غالبة على أدبه فيما بعد .

وفى عام ١٨٢١ ماتت أمه صوفى هوجو ، وبدأ فيكتور يحاول التقرب مرة أخرى من محبوبته أديل ، وبعد ذلك بعام تزوجها رغم معارضة أهلها . وظلت ليلة زفافه من أديل منطبعة فى ذهنه سنوات طويلة ، حتى انها أوحت إليه بمشهد زفاف ماريوس وكوسيت فى « البؤساء » .

وبعد زواجه بقليل أصبح فيكتور هوجو وهو فى سن الثالثة والعشرين نجما ساطعا فى سماء الأدب ، وزعيما لحركة « التجديد الأدبية » التى شملت عدداً لا بأس به من الشعراء والكتاب فى فرنسا . وبدأ ايمانه بالنظام الملكى يتلاشى شيئاً فشيئاً ، كما بدأت نزعاته الانسانية وارتباطه النفسى بالطبقات الفقيرة تقوى شيئاً فشيئاً ، حتى أن موقفه الفكرى بدأ يتناقض تناقضاً شديداً مع النظام الرجعى للملك شارل العاشر .

وفى تلك الأثناء كتب هوجو مسرحية « ماريان ديلورم »

وهى مأساة رومانسية وقد صادرها الرقيب بإيحاء من الملك نفسه .

وفى عام ١٨٢٩ قام هوجو بزيارة لسجن « بيستر » وكانت نقطة تحول فى حياته الأدبية ، فقد جعلت منه نصيرا للفقراء والمظلومين ، فطفق يكتب المقالات حول حياة السجن وما فيها من ظلم وقهر وتعذيب وإعدام للبرىء ، وهى موضوعات ظلت تسيطر عليه طيلة حياته الأدبية فيما بعد . وفى عام ١٨٣٠ تنازل الملك شارل العاشر عن العرش لخلفه لوى فيليب ، الذى كان ملكاً ديموقراطياً ، جمهورى العواطف إذا جاز القول ، متحرراً فى أفكاره . وكان من أشد المعجبين بأدب فيكتور هوجو فخلع عليه لقب « بارون » .

وكانت هذه أكثر سنوات هوجو تألقا ، فقد انتقل ليعيش فى قصر منيف بجوار القصر الملكى (تحول الآن إلى متحف فيكتور هوجو فى باريس) . وكانت الجماهير تحتشد أمام باب القصر لمجرد أن تلمح الكاتب الشهير الثرى أثناء خروجه أو دخوله ، وكانت النساء الجميلات يلاحقنه فى كل مكان ، واتخذ من احداهن ، وهى جولييت درويه ، عشيقة له ، وسكرتيرة فى نفس الوقت ورفيقة له مدى الحياة .وكانت جولييت ، تعمل موديلا عاريا للرسامين والنحاتين قبل أن تبلغ سن العشرين ، وانجبت

طفلا دون زواج وهى بعد فى التاسعة عشرة من عمرها ، كما انضمت إلى إحدى الفرق المسرحية فى مدينة بروكسل ببلجيكا كممثلة ناشئة ،

وعندما عادت إلى باريس حصلت على دور صغير فى إحدى مسرحيات هوجو . وكانت فتاة هوجو رشيقة ولبقة وشديدة الذكاء متفجرة بالعواطف الجنسية دون خجل ، فأسرت فيكتور هوجو الذى لم يكن قد رأى مثلها من قبل . وكان حبه لها مصدراً لالهامه فى العديد من القصائد والمقطوعات النثرية العديدة ، فأصبحت علاقتهما حديث المدينة .

وعلمت زوجة أديل هوجو بحبه الجارف لجولييت ، فقد كان يبيت عندها كل ليلة ، ولا يعود لقصره إلا أثناء النهار ليتناول وجبه الغداء . وقد كانت زوجته صابرة على هذا الوضع مقدرة أن مكانته الأدبية الرفيعة تسمح له ببعض المغامرات العاطفية ، الا أن علاقته العاطفية بجولييت ظلت بعد ذلك تتجه إلى الانهيار التدريجى ، فى نفس الوقت الذى تزايدت فيه علاقاته النسائية ، مع احتفاظه بجولييت كصديقة ورفيقه يرتاح إليها إلى أخرعمره .

وفى عام ١٨٤٨ قامت الثورة ضد الملك لوى فيليب ، وتم اعلان الجمهورية ، وأصبح فيكتور هوجو عضوا بارزا فى البرلمان

الجمهوري . وقد تركت الثورة ، بما احتوت عليه من مشاهد المتاريس في الشوارع ومظاهر التعبير عن الظلم الواقع على الطبقات الكادحة أثرا لا ينمحي في نفس فيكتور هوجو عبر عنه فيما بعد في مشاهد ثورة الطلبة وراء المتاريس وحربهم ضد جنود النظام الملكي في روايته العظيمة « البؤساء » .

وفي هذه الاثناء بدأ شارل لوي نابليون يجمع في يده خيوط السلطة حتى استولى عليها تماما في ديسمبر ١٨٥١ ، ونَصّب نفسه رئيسا للجمهورية . وفي ذلك الوقت تماما كان هوجو أصبح زعيما لليسار - الجمهوري الفرنسي - وأظهر استياء شديدا من استيلاء شارل لوي نابليون على السلطة وجمع مقاليدها في يده وحده بما جعله دكتاتورا ، بينما قال اعداؤه أن ثورته على نابليون كان السبب الحقيقي فيها أنه لم يعينه وزيراً للتعليم . وإزاء مقاومته لحكم شارل نابليون أصبح هوجو يواجه احتمال القبض عليه بل والحكم عليه بالاعدام .

وهرب هوجو إلى بروكسل بمعاونة جولييت المخلصة ، وبين ليلة وضحاهاأصبح الكاتب الواسع الثراء والسياسي البارز منفيا معدما لا يكاد يجد قوت يومه ، وذهب إلى انجلترا لفترة قصيرة ثم طرد من انجلترا لتوجيهه بعض الانتقادات الى الملكة فكتوريا بسبب علاقاتها الطيبة مع نابليون الثالث ، واستقر أخيرا

فى احدى جزر المانش ، حيث تعثرت مكانته ككاتب ثائر ضد النظم الدكتاتورية ، رافضاً أية محاولات لا ستصدار عفو عام عن من الرجل الذى وصفه بعبارة « نابليون الصغير » .

وفى عام ١٨٦٠ استأنف هوجو العمل فى « البؤساء » الذى كان قد بدأها بعد ثورة عام ١٨٤٨ مباشرة ، بعد فترة انقطاع طويل عن الكتابة بسبب مشاغله السياسية . أخذ يواصل كتابة « البؤساء » وهو فى منفاه حتى أتمها عام ١٨٦٢ فحققت بمجرد نشرها نجاحا مذهلا وحقق ثراء فوريا فاحشا .

وفى عام ١٨٦٨ ماتت زوجته « أديل هوجو » وصحب فيكتور هوجو جثمانها حتى الحدود الفرنسية البلجيكية ، فقد كان ما يزال يرفض العودة إلى وطنه . وفى هذه الفترة كان فيكتور هوجو يقضى حياته فى قصره المسمى بقصر « جهوتفيل » فى بلجيكا ، وقد أصبح الآن شخصية أدبية اسطورية ، بين اللعب مع احفاده ، والقيام بزيارات متقطعة إلى لندن ، وانتظار الوقت الذى تتخلص فيه فرنسا من نابليون الثالث ، وقد حدث ذلك أخيرا فى عام ١٨٧٠ عندما هزم الديكتاتور فى الحرب مع بروسيا وانهار نظامه فهرب الى انجلترا ، وفعل هوجو شيئا كان يرفض أن يفعله لمدة عشرين عاما خلت ، فقد استقل القطار من بروكسل الى محطة الشمال

فى باريس الغارقة حينئذ فى ويلات الحرب والتى كانت على شفا الحرب الاهلية .

وانتخب أهل باريس هوجو على الفور عضواً فى البرلمان ، وفى ذلك الوقت لم يعد الكاتب فى نظر الفرنسيين تجسيداً لليسار الفرنسى . وقد أدركت الحكومة التى خلفت نابليون الثالث برئاسه تيير ضعف الموقف العسكرى الفرنسى وأخذت تبحث عن السلام بأى ثمن . وتحت قبة البرلمان أخذ هوجو يهاجم بشدة بنود اتفاقية الهدنة التى اعتبرها نوعا من الاستسلام المخجل للعدو والتى كانت تنص على التنازل عن الالزاس وجزر من اللورين لألمانيا .

وكانت روحه الثورية – فى هذا الصدد – متمشية مع الافكار النظرية التى طرحها بلانك وغيره من المفكرين الاشتراكيين فى فرنسا والتى كان لها تأثير واسع فى الشارع الفرنسى ، وبالرغم من أنه كان يدعو تحت قبة البرلمان لاستمرار الحرب دون عقد أى تنازلات ، الا أنه فى نهاية الامر كان يعتقد وجوب اقامة علاقات طيبة بين فرنسا الجمهورية وألمانيا الديمقراطية ، كما أنه كان يدعو الى تحقيق رؤيته النهائية فى اقامة الولايات المتحدة الأروبية.

وهى الدعوة التى لم يكن أصدقاؤه أو معجبوه يفهمونها أو يشاركونه الرأى فيها .

وسرعان ما استقال هوجو من البرلمان بعد أن تعرض لهجوم شديد من الكثير من زملائه الأعضاء ، وفكر جدياً فى اعتزال السياسة نهائيا ، وفى نفس الوقت مات ابنه الاكبر « شارل » إثر نزيف حاد فى المخ ، فسافر هوجو الى بروكسل لتصفية تركة ابنه وفاتته أحداث الثورة الدموية القصيرة التى قام بها العمال اليساريون فى باريس فى مايو ١٨٧١ .

ولم يحاول هوجو أن يعود الى باريس أثناء الثورة الا أنه ظل يتابع أحداثها عن كثب بإشفاق شديد على مصير الثوار . تم سحق ثورة العمال ، وانتهت بمذابح مروعة ، اذ قتل عشرات الآلاف من الثوار ومنهم من أعدم دون محاكمة ، ومنهم من نفى خارج البلاد . وأصاب ذلك هوجو بالفزع ، ليس فقط من أجل مصير الثوار ، وإنما أيضاً من رفض الحكومة البلجيكية اعطاء أى من الثوار الهاربين حق اللجوء السياسى ، وكان يقول أنه يسعده أن يستقبل أى عدد منهم فى منزله ببروكسل .

وقضى هوجو بعد ذلك عامين فى منفاه الاختيارى بإحدى قرى « لوكسمبورج » وأخذ يشن حملة متواصلة لإصدار عفو عن المساجين والمنفيين من العمال الذين قاموا بالثورة ، وفى عام ١٨٧٣ كتب رواية تاريخية تدور أحداثها فى أكثر أيام الثورة الفرنسية ظلاما ورعبا عام ١٧٩٣ ، وكان بذلك يقوم بإسقاط

الاحداث على ما تم فى ثورة العمال .

وعندما عاد أخيراً الى باريس كانت النفوس قد هدأت وأخذت فرنسا الجمهورية تعامله بالاحترام الواجب لمن هو فى مثل مكانته ، وصدر قرار العفو الشامل عن الثوار الذى كان يطالب به ، أصبح هوجو عميدا للأكاديمية الفرنسية ولمجلس الشيوخ .

وفى عيد ميلاده الثمانين ، احتفلت مدينة باريس والحكومة الفرنسية كلها بكاتب فرنسا العظيم ، وذلك بإقامة سلسلة من المهرجانات ومواكب الزهور التى ظلت تجوب شوارع باريس ، كما أن مئات الآلاف من محبيه ومعجبيه ظلوا ينظمون المسيرات أمام بيته أياما طويلة وذلك فى شارع ديلو - الذى تحول فيما بعد الى شارع فيكتور هوجو حاملين باقات الزهور ، وجاءوا من جميع أنحاء فرنسا لتحيته وبعضهم جاء من بلاد بعيدة مثل كندا ، وأمريكا . ولم ينل كاتب فرنسى من قبل مثل هذا التكريم الشعبى والرسمى الهائل الذى ناله هوجو .

وفى عام ١٨٨٥ قبيل افتتاح احدى مسرحياته بقليل حين ظهر لآخر مرة أمام الجمهور مع ممثلى مسرحيته ، أصيب فيكتور هوجو بالتهاب رئوى مات على إثره . وكان قد أوصى بأن يدفن فى مقابر الفقراء والا تُقام عليه الصلوات الجنائزية رغم أنه

قرر فى وصيته أنه مؤمن بالله واليوم الآخر .

واختلفت الآراء بعد موته مباشرة حول ضرورة تنفيذ وصيته من عدمه ، إلا أن الرأى اتفق أخيرا على أن تقام له جنازة رسمية مهيبه ، وان يسجى جسده داخل تابوت مكشوف تحت قوس النصر حتى يودعه الشعب ، ثم يؤخذ بعد ذلك فى موكب رسمى ضخم يشارك فيه جميع المسئولين فى الدولة الى مقبرة « الباثيون » التى يدفن فيها عظماء فرنسا من رجال ونساء .

وقبل الجنازة بأيام احتشد ملايين المواطنين عند قوس النصر وسدت الحشود جميع المنافذ المؤدية الى شارع الشانزلزيه ، أناس من كل نوع ومهنة من بينهم المومسات الى جانب رجال الدين والمثقفين والتجار وأصحاب الورش والمصانع والأسر المحترمة والفتوات من حى الجنس فى البيجال .. وعمال وطلبه ومواطنون عاديون .. جاءوا جميعا ليلقوا نظرة الوداع الأخير على بطلهم القومى « فيكتور هوجو » .

* * *

الفصل الأول

البؤساء

برولوج : (مجموعة من المساجين يؤدون الأشغال الشاقة في الشمس الحارقة)

المساجين : عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض لا ترفع عينك فيهم .
عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض ، محكوم عليك أن تبقى هنا حتى الموت .

سجين ١ : الشمس ساخنة لكنها ليست حارقة كالجحيم .

كورس : عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض مازال أمامك عشرون عاما حتى يُفرجَ عنك .

سجين ٢ : أنا لم أرتكب ذنباً ، يايسوع الطيب ، اسمع دعائى

كــورس : عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض ، يسوع الطيب لا يهمه أمرك .

سجين ٣ : أنا واثق أنها ستنتظرنى .
أنا واثق أنها ستظل مخلصة لى .

كــورس : عينك فى الأرض ،عينك فى الأرض ، كلهم قد نسوك.

سجين ٤ : عندما يفرج عنى لن تروا وجهى ثانية .

كــورس : عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض ، لا تنظر فى عيونهم .

سجين ٥ : متى يا إلهى تخلصنى من هذا العذاب بالموت ؟

كــورس : عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض ،
ستظل دائما ابداً عبداً
عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض

أنت واقف فوق قبرك .

جـافير : احضروا السجين ٢٤٦٠١ . جاء وقت الافراج عنك ، ستخرج ، ولكنك ستظل تحت المراقبة ، أتعرف معنى هذا ؟

فالجـان : نعم ، معناه أننى قد أصبحت حراً .

جـافير : لا ، معناه أنك فى نظر القانون صاحب سوابق ، فأنت لص .

فالجـان : لم أسرق سوى رغيف من الخبز .

جـافير : سرقت منزلا .

فالجـان : كسرت شراعة نافذة ، كانت ابنة أختى تقترب من الموت ، وكنا نتضور جوعاً .

جـافير : سـوف تتضـور جوعاً مرة أخرى ، مالـم تعرف معنى القانون .

فالجان : أعرف معنى هذه السنوات التسـعة عشـر التى قضيتها عبداً للقانون .

جـافير : خمس سنوات عقوبة ما ارتكبت من جرم ، والباقى لأنك حاولت الهرب ،
نعم يا ٢٤٦٠١ .

فالجـان : اسمى جان فالجان !

جـافير : وأنا جافير لا تنس اسمى لا تنسنى يا .. يا ٢٤٦٠١

كـورس : عينك فى الأرض ، أنظر فى الأرض
ستظل دائما عبداً
عينك فى الأرض ، عينك فى الأرض
فأنت واقف على قبرك .

فالجــان : هأنذا أملك حريتى ، الأرض مازلت ثابتة .. مازلت أشـعر بالريح ،هأنذا أتنفس ثانية ، وها هى ذى السماء تصفو ، والدنيا تصحو فاشرب من نبع الحياة .

ولا تنسَ أبداً ما ضاع من سنين ولا تغفر لهم ما فعلوه بك .

هم المذنبون - كلهم .

اليوم يبدأ .. فلنرَ الآن ماذا ستفعل بى هذه الدنيا الجديدة !

فــلاح : عليك أن تترك العمل عندى

وسوف أدفع لك أجر اليوم .

اجمع أشياءك وامضِ

فالجــان : ما حددته لى من أجر هو نصف ما يحصل عليه الآخرون ، فهذه الملاليم لا تساوى شيئاً من عرق جبينى .

عامـل : أنت صـاحب سـوابق ، والكل يعرف ذلك ، فلمَ تحصل على نفس الأجر الذى يتقاضاه الشرفاء من أمثالى ؟

فالجـان : جميع الأبواب أوصدت أمامى ، سجن آخر ، وقفل آخر ، وسلاسل أخرى ، إذ عندما أذهب إلى أى مدينة يسألون عن أوراقى فيكتشفون صحيفة سوابقى وفى عيونهم أرى الخوف والتوجس .. وسرعـان ما يقولون : « لا نريدك هنا .. »

زوجةصاحبالفندق: جميع الغرف هنا مشغولة ، وليس لدى عشاء أقدمه ، فالأكل قد نفد
وددت لو سـاعدت غريبا ، لكن ليس فى اليد حيلة !

فالجـان : سوف أدفع مقدما - ودعونى أنام حتى ولو فى الزريبة ، الظلام دامس فى الخارج

وأنا لست كلبا !

صاحب الفندق : اخرج من بيتى .
وإلا ألهبت ظهرك بهذه العصا
نحن أناس نحترم القانون
بحمد الله وفضله .

فالجـان : والآن عرفت معنى الحرية
فالسجان دائماً فى أعقابك
هذا هو القانون !
صحيفة السوابق فى يدى تجعل منى إنساناً ملعوناً على طول وعرض البلاد ، هذا هو القانون.
أجول الشوارع مثل كلب ضال
والوحل يلطخ قدماه !

القسيس : تفضل يا سيدى بالدخول فأنت متعب ، والليل دامس الظلام .

ورغم أننا نعيش حياة متواضعة ، فسوف نقتسم

ما لدينا معك .

هنا بعض النبيذ لينعشك .

وهنا بعض الخبز ليبعث فيك القوة

وهنا سرير لتريح عليه جسدك حتى الصباح

استرح من آلامك ، واسترح من خطاياك .

فالجان : سمح لى بأن آكل حتى أشبع.

وأكلت نصيب الأسد

الشمعدان الفضة بين يدى ثمنه ضعف ما كسبت

من نقود طوال تلك السنين التسعة عشر ، هذا

العمر فى اليأس دون رجاء .

ومع ذلك ، فهو قد وثق بى .

العجوز الغبى وثق بى .

صنع ما عليه من خير ، وأنا لعبت دور العبد

الممتن وشكرته كما يجب أن أشكره .

ولكن ، عندما هدأ كل شئ فى البيت

استيقظت وقد توغل المساء

وأخذت شمعدان الفضة ووليت أدبارى .

اثنان من رجال الشرطة : ١ – قص على قداسته ما حدث بالضبط

٢ – ولنرَ ما إذا كان سيقتنع بما ستورويه .

١ – كنت تنام هنا ليلة الأمس

٢ – وكنت ضيف هذا القسيس النبيل ، ثم بدافع من الروح المسيحية الطيبة عندما علم بما أنت فيه من ورطة

١ – أقر بأنه أعطاك شمعدان الفضة بصفة هدية !

القسيس : هذا صحيح . لكنك يا صديقى رحلت مبكراً جداً ونسيت شيئا بالتأكيد .

(القسيس يعطى فالجان اثنين من الشمعدانات الفضة .)

نسيت أننى أعطيتك هذا أيضا فلِمَ تنسى أن تأخذ معك أفضلها جميعاً ؟ وهكذا ترى يا سيدى أنك لا بد أن تفرج عنه ، فالرجل صادق

فيما يقول ، وأنا مسرور أنك قمت بواجبك كما ينبغى .

وليباركك الله فى كل ما تفعل أو تقول .

(يخرج رجلا الشرطة ، القسيس يخاطب فالجان)

القسيس : ولكن تذكر هذا يا شقيقى ، لترى فيما حدث برهاناً الهياً من السماء ، عليك أن تستخدم هذه الفضة الثمينة فى أن تجعل من نفسك رجلا شريفاً

فبحق كل الشهداء

وبحق أم المسيح وما قد عاناه من آلام .. لقد أنقذ الله روحك من غياهب الظلام ، وقد نذرت روحك خالصة لوجه الله .

فالجان : ماذا فعلت !

يا سيدى ماذا فعلت ؟

أصبحت لصاً هائماً فى جنح الظلام !

أصبحت كلباً ضائعاً يجوب تلك الطرقات .

ويا ويلتى ، وهل هويت إلى هذا الدرك المظلم
المأفون.
وهل أظلم الكون حتى ما عدت يا فالجان تسمع
سوى صرخات الكراهية فى قلبك ، صرخات فى
الظلام لا تطرق اذناً سوى أذنك ، بينما أقف فى
هذا المنعطف من مسيرة العمر الحزين ؟
إذا كان هناك طريق آخر أسلكه فقد ضللت ذلك
الطريق منذ عشرين سنة مضت .
كانت حياتى حرباً لا يمكن أن أحقق فيها الانتصار
أعطونى رقما وقتلوا فالجان ، عندما قيدونى
بالسلاسل ، فأصبحت فى عداد الأموات ، لمجرد
أنى سرقت رغيفاً من الخبز .
ومع ذلك ، لماذا سمحت لهذا الرجل أن يلمس
شغاف روحى ويعلمنى الحب ؟
عاملنى كأننى إنسان ، مثلى مثل أى إنسان .
أولانى ثقته ، وندانى بالشقيق .
أما حياتى ، فقال إنها من شأن الله فى عليائه فأى
طراز من البشر هو !

لقد كنت قد كرهت هذا العالم ، هذا العالم الذى كان دائما يكرهنى .

العين بالعين ، والسن بالسن ، وليصبح قلبك حجراً صلداً ، فهذا ما عشت له ومن أجله .

كلمة واحدة منه ، فيلقون بى مرة أخرى فى السجن ، يلهبون ظهرى ثانية بالسياط ، يجلدوننى فوق « الفرلقة » .

بدلاً من ذلك ، يهبنى حريتى ، أشعر بخجل داخلى كالسكين ، قال لى إن لدىّ الروحَ ، فكيف يعرف أن لدى الروح ؟! أى روح .. حركت فى داخلى أعظم وأجمل ما فى الإنسان !

وهل حقاً هناك طريق آخر أسلكه فتتشرق منى الروح !

أتلمس طريقى لكننى أسقط ، ظلام الليل يهبط ، وأنا أحملق فى المجهول ، أحاول أن أدرك خطيئتى ، سأهرب الآن من العالم ، من عالم جان فالجان ، جان فالجان لم يعد له الآن وجود ، وقصة أخرى لابد أن تبدأ .

(يمزق فالجان صحيفة سوابقه)

٢ – المصنع فى مونتريـــــه

الفقراء : فى نهاية كل يوم تصبح أكبر سناً بيوم ، هذا كل
ما فى الأمر بالنسبة لحياة الفقراء ، حياة من
الكفاح المرير .. من الحرب القاسية ، ولا أحد يمد
لك يد العون
فما ضرورة يوم آخر من المعاناة
« بناقص » هذا اليوم !
وفى نهاية كل يوم تصبح أكبر سناً بيوم ،
والقميص على ظهرك لا يقيك من البرد القارس ،
ويمر بك مَنْ يدعون التقوى والورع مسرعين
فيصمون آذانهم عن بكاء الأطفال
وسرعان ما يزحف الشتاء
ناشبا مخالبه ، مستعدا للقتل فيقربك من الموت
يوماً آخر !
فى نهاية كل يوم يشرق فجر يوم آخر

والشمس تنتظر أن تشرق فى الصباح كما
تتكسر الأمواج على رمال الشاطىء كعاصفة على
وشك أن تهب فى أى لحظة ، الجوع يرتع فى
الأرض وعليك فى آخر المساء أن تجلس وتحسب
كل الحسابات ، وتدفع ثمن كل هذه المعاناة .

رئيس العمال: فى نهاية كل يوم تحصل على لا شىء مقابل لا
شىء تجلس محبطاً على مؤخرتك ، لا تجد ما
تشترى به قوت يومك

عامل ١ : فى البيت أطفال جائعون .

عامل ١ ، ٢ : ولا بد أن تمتلىء بطونهم بالطعام !

عامل ٢ : وأنت محظوظ أنك قد حصلت على عمل

امرأة : وعلى سرير تنام عليه آخر المساء !

العمـال : فلنحمد الله على مانحن فيه !

فتـاة ٢ : أرأيتـم كيـف يزفـر رئيس العمـال اليـوم بأنفاسه التى تطلق دخاناً ، ويديه التى تلوح هنا وهناك ؟

فتـاة ٣ : ذلك لأن فانتين الصغيرة تأبى أن تجعله ينال منها ما يريد .

فتـاة ١ : أنظروا إلى بنطلونه ، فستعرفون الموقف !

فتـاة ٤ : والمدير ، لا يعرف أن رئيس العمال فى حالة هياج جنسى طول الوقت !

فتـاة ٣ : إذا لم تعرف فانتين كيف « تكبر مخها » فستجد نفسها حالاً فى عرض الطريق !

العمـال : فى نهاية كل يوم ينتهى يوم آخر
وتقبض أجر اليوم لتدفع إيجار البيت وحساب

البقال وسائر الديون ، ولا يتبقى لك سوى الفتات
على المائدة عندما تقبض فى نهاية اليوم
عليك أن تدفع .
(فتاة تخطف خطاباً من فانتين)

فتــاة : ماهذا يا أختى الصغيرة البريئة ؟
هيا يا فانتين !
فلنقرأ ..ولنضحكِ الأخبار !
(تقرأ) « عزيزتى فانتين .. نرجو ارسال مبلغ
آخـــر من المال .. فطفلتك مريضة
وتحتاج إلى طبيب .. بأسرع ما يمكن »

فـانتين : اعطنى هذا الخطاب
فلا شأن لكِ بهذا ، فلديك زوج فى منزلك وحياتك
عادية
(للفتيات) هل هناك منكن من تستطيع أن تقسم
بالله أنه ليس لديها ما تخافه ؟ أو ليس لديها ما
تخفيه ؟

(يتعاركن حول من منهن تخطف الخطاب)

فالجـان : كفى شجاراً وابتعدن عن بعضكن البعض ما السبب فى هذا الشجار ؟
هذا مصنع وليس سيرك
هيا يافتيات .. اهدأن ..
فما يهمنى هو سمعة المصنع وأنا عمدة هذا البلد !
(لرئيس العمال)
أنت مسئول عن فض هذه المشاجرة ولتصبر قدر الامكان !
(يخرج فالجان)

رئيس العمال: فليخبرنى أحدكم كيف بدأت هذه المشاجرة ؟

فتـاة : هى التى بدأتها ، إنها تخفى طفلة لها فى مدينة ما ، وهناك رجل ترسل له نقوداً ، وتستطيع أن تخمن كيف تكسب هذا المال الزائد حتى ترسله ،

أراهن أنها تكسبه بالنوم مع الرجال والمدير لن يعجبه هذا الكلام !

فانتين : نعم .. هذا صحيح .. هناك طفلة .. هذه الطفلة هى ابنتى ، وأبوها هجرنا وتركنا معدمتين ، والآن تعيش مع صاحب خان وزوجته ، وأنا أدفع لهما تكاليف معيشة الطفلة فما الغرابة فى هذا ؟

عاملات : لا يأتى من ورائها إلا المتاعب ، وستكون مصدر الأذى للجميع ، وبينما نحن نكدح لنكسب قوت يومنا ، تضع يدها فى الماء البارد وتكسب الكثير من « المشى البطال » !
لابد من طرد هذه العاهرة
وإلا ستلوث سمعتنا جميعا وسندفع نحن ثمن خطيئتها فى النهاية .

رئيس العمال: كان لا بد أن أعرف أن الكلبة تعض
كان لابد أن أعرف أن القطة لها مخالب ، كان لابد

أن أخمن سرك الدفين نعم نعم .. وتظهرين بمظهر الطاهرة فانتين البريئة النظيفة ، التى تلعب دور العذراء فى ضوء النهار ، لكنها لا تحتاج إلى من يغويها عندما يحل المساء !

فتـاة : كانت تستغفلكم جميعاً وتنام مع الرجال !

عامـلات : لن تكون إلا مصدر متاعب وأذى لنا جميعا .

امـرأة : لابد من طردها اليوم .

جميع العمال : اطردوها اليوم ! (يتركون فانتين وحدها)

فـانتين : عرفت زماناً كانت قلوب الناس فيه أكثر رقة ، وأصواتهم أكثر خفوتا ، وكلماتهم مفعمة بالشفقة .

عرفت زماناً كان الحب فيه أعمى

والدنيا أغنية .

والأغنية جميلة بهيجة .

عرفت زماناً ..

لكن الخلل أصاب كل شئ

حلمت حلماً بأيام مضت

حين كان الأمل طائراً فى السماء والحياة تستحق

أن تُعاش.حلمت أن الحب لن يموت أبداً

وحلمت أن الله سيغفر كل شئ .

وقتها كنتُ صغيرة لا أخاف

وكنت أصنع الأحلام ، وأستعذبها ثم أضيعها .

لم تكن هناك ضريبة أدفعها لأى شئ

لم تكن هناك أغنية لم أغنها

ولا حلو لم أنقه

لكن النمور والذئاب تأتى بالليل

أصواتهــا تزأر كالرعد

وهى تمزق آمالك إربا

وتلحق العار بكل أحلامك .

كان ينام بجانبى طيلة ذلك الصيف ، وكان يملأ

أيامى بدهشه لا تنتهى .

وامتطى جواد طفولتى

لكنه عندما حل الخريف رحل !

وما زلت أحلم أن يعود إلىّ حتى نعيش أيامنا معا

لكن ثمة أحلاماً لا يمكن أن تتحقق وثمة عواصف

لا يمكن تفاديها

كنت أحلم أن تكون حياتى مختلفة تماما

عن هذا الجحيم الذى أعيشه

لكن الحياة قتلت حلمى الذى كنت أحلمه !

٣ - حى النور الأحمر (حى البغاء)

بحارة : أشم نساء !.

بحار ١ : أشم رائحتهن فى الهواء !

وسوف ألقى بخطافى

فى هذا الميناء هناك !

بحار ٢ : نساء جميلات

أشمهن من خلال هذا الضباب

سبعة أيام فى البحر

تجعل لعابك يسيل عندما ترى امرأة !

بحار ٣ : نساء.. نساء جميلات

ينتظرن مَنْ يقبلهن ويعض شفاههن

ينتظرن زبائن لا يأتو ن إلا بالليل .

نساء جميلات ، رهن الإشارة

يقفن أو يرقدن ، أو فى أى وضع تشاء !

يساومن على الثمن وهن يستندن إلى الحائط .

امرأة عجوز : تعال ياحبيبتى هنا

وأرينى قطعة الحلى التى ترتدينها حول رقبتك

وتبدو أنها شىء لا قيمة له .

فانتين : مدام ، سوف أبيعها لك

المرأة العجوز : سأعطيك أربعة ثمناً لها .

فـانتين : هذا لا يساوى ثمن السلسلة وحدها .

المرأة العجوز : سأعطيك خمســة، أنت فى أشد الحاجـة إلى ثمنها ، أنتِ حرة

فـانتين : إنها كل ما أملك !

المرأة العجوز : وما شأنى أنا ؟

فـانتين : أرجوكِ .. اجعليها عشرة .

المرأة العجوز : ليس أكثر من خمسة ، ياحبيبتى .. لابد أن نستمر على قيد الحياة !

النساء : نساء جميلات

ينتظرن فى الظلام

رهن الإشارة ..

سواء لقاء طويل

أم لقاء قصير فى الحديقة !

العاهرة ١ : وقت طويل ، وقت قصير

أى وقت ياحبيبى

وإذا أردت أن تمكث طول السنة

فسيكلفك هذا زيادة طفيفة

النساء : سريع ورخيص تحت رصيف الميناء .

كـرون : ياله من شعر جميل .

يالها من خصلات طويلة جميلة ، أنت محظوظة

إنها تساوى قرشاً ياحبيبتى ، وسآخذها جميعا !

فـانتين : لاتلمسنى ، دعنى وشأنى .

كـرون : إذن فلنثمن خصلات شعرك الطويل هذا ،

سأعطيك عشرة فرنكات كاملة !

هل تتصورين ؟!

فـانتين : (جانباً) هذا المبلغ أنا فى أشد الحاجة إليه .

كـرون : فكرى فى الأمر .

فـانتين : ماذا أفعل ؟ أنا فى أشد الحاجة إلى هذا المبلغ . عشرة فرنكات قد تنقذ حياة صغيرتى المسكينة كوسيت .

بحار ٣ : سيدتى الجميلة بسرعة بسرعة على أرض الشارع وبعد دقائق ثلاث كانت تقف مرة أخرى على قدميها .

بحـار ١ : سيدتى الجميلة ماذا تنتظرين لا تأخذ المسألة جهدا حتى تكون عاهرة . هيا يا سيدتى ، فلمَ خُلق النساء ؟

النساء : نساء جميلات ، فتيات جميلات
نساء جميلات ، فتيات جميلات ، نحن فتيات
جميلات ، جميلات فلمَ خُلقت الجميلات ؟
إلا لهذا ؟

القواد : ما هذا القرف ، ومن هذه البنت هناك ؟

عاهرة ١ : جونلة أخرى ، باعت شعرها !

عاهرة ٢ : لديها طفلة ، ترسل لها كل ما تحصل عليه من نقود !

القواد : كان لابد أن أعرف أن هناك دائما رجلاً فى حياة كل منكن ، أيتها السيدة الجميلة ، تعالى ، وانضمى إلى المجموعة – أيتها السيدة الجميلة .

عاهرة ١ : تعالى يا أمورة ، كفى عن هذه الدوشة .. أنتِ لستِ أحسن من أى واحدة فينا ، والحياة ألقت بكِ

في قاع المدينة ، فتعالى وانضمى إلى أخواتك .

عاهرة ٢ : اكسبى الأموال مثلنا أثناء نومك !

عاهرة ١ : نعم يا حلوة ، دعيهم يأخذون كل شىء .

عاهرة ٣ : نعم يا أمورة ، أريه ما لديك فى مواهب !

النساء : رجال عجائز ، رجال شباب ، لايهم .
فئران الميناء ، قطط الحارات ، كلاب السكك لا
يهم ، فقراء ، أغنياء ، زعماء ، دهماء ، لا يهم ..
كلهم عندما يخلعون السروال سواء
والمهم ما يصل يدك من أموال .
أيتها النساء الجميلات
أسرعن إلى الرجال ، أنهم يسعون فى طلبكن ،
أسرعن أسرعن ..
فلن يبقى الرجال هنا طويلا .

فـانتين : هيا يا كابتن .. ارتد حذاءك .

ألا يسعدك أكثر أن تختار فتاة لا تملك أن ترفض؟

تكسب منك مالاً سهلاً تضعه على السرير بجوارها

ولن ترى هذه الفتاة الأخرى ما أراه الآن فى عيونك من كراهية ، أفلا تعلم أنك قد تضاجع فتاة قد ماتت بالفعل !

باما تابوا : هذه « حتة » جديدة ! لا بأس فى المحاولة ، أنتِ ! تعالى هنا .. فأنا أحب أن أقلّب أولا البضاعة ، وسأدفع الثمن المعتاد لقاء لحسة من عسلك !

فـانتين : أنا لا أريدك ، لا ، لا يا سيد .. أتركنى وشأنى .

باما تابوا : أهذه خدعة ؟ أنا لن أدفع أكثر !

فـانتين : لا .. لا أريد ..

باما تابوا : (« أما أنتِ بجحة بصحيح ») هذه بجاحة حقاً أيتها العاهرة الصغيرة ، المسألة مع العاهرة مثلها مثل البقال ، فعليك أن تقلب أولا البضاعة التى تنوى أن تشتريها ، والعاهرة لا تملك أن تختار .

فانتين : سأقتلك أيها الوغد ، حتى العاهرة التى تتمرغ فى الوحل لن تستسلم لفأر مثلك .

باما تابوا : والله لتدفعين ثمن ما فعلتِ غاليا ، هذا الفأر سيجعل الدماء تسيل منك وسترين ، وسوف أجعلك تصرخين من الألم بسبب ما بدر منك من الاخلال بالنظام ، وهذه الإهانة التى ألحقتها بالبشر والممتلكات !

فانتين : أتوسل إليك يا سيدى لا تبلغ عنى البوليس ، سأفعل أى شىء تريد ..

باما تابوا : اشرحى أعذاركِ للبوليس ..

جافير : قولوا بسرعة ، ما الحكاية ، مَنْ رأى ماذا ، ولماذا ، وأين فليعط وصفاً تفصيليا لجافير ، فى عش الخفافيش والعاهرات هذا ، فليتكلم مَنْ رأى كل شىء : من الحق الأذى بهذا الرجل الطيب وما السبب فى هذه المشاجرة ؟

باما تابوا : جافير ، هل تصدق ؟ كنت ماراً بالحديقة عندما هاجمتنى هذه المومس ، تستطيع أن ترى علامات أظافرها على جلدى .

جافير : سوف تدفع ثمن هذا الاتهام عندما تأتى إلى قسم الشرطة وتعطى تقريرا كاملا بما حدث .. وتأكد يا سيدى أنه سيكون عليها أن تدافع عن نفسها أمام المحكمة .

فانتين : هناك طفلة فى أشد الحاجة إلىّ .. أرجوك ياسيدى.. ان الطفلة لا يعدو طولها هكذا (تشير بيدها) .. يا رب .. يا رحمن يا رحيم .. ألم تعد هناك فى القلوب شفقة أو رحمة ؟ إذا

ألقيتم بى فى السجن ستموت طفلتى .

جـافير : كلكن تقول هذا الكلام ، سمعته مئات المرات من قبل . لا داعى لكثرة الكلام ، ووفرى دموعك ، كان عليك أن تجدى عملاً شريفاً ، وهذا ما يرضى الله حقا !

فالجـان : لحظة يا جافير ، أنا أصدق ما تقوله هذه المرة .

جـافير : ولكن ، يا سيدى العمدة .

فالجـان : لقد أديت واجبك . أتركها وشأنها ، إنها فى حاجة إلى طبيب لا إلى عقاب .

جـافير : ولكن يا سيدى العمدة .

فـانتين : هل يمكن أن يحدث هذا ؟

فالجـان : ترى ماذا سيكون مصير هذه الفتاة إن لم يقف بجانبها صديق ؟ (لفانتين) لقد رأيت وجهك من قبل ، ترى ، كيف أستطيع مساعدتكِ ؟ وكيف وصلت بكِ مأساة حياتك إلى مكان كهذا ؟

فـانتين : لا تسخر منى الآن يا سيدى ، أرجوك ، يكفينى ألماً إنى فقدت كرامتى ، لقد تركت رئيس عمالك يطردنى من المصنع ، نعم كنت هناك وأشحت بوجهك عنى ، أنا لم أرتكب أى خطأ .

فالجـان : أصحيح اننى ارتكبت هذا ؟

فـانتين : ابنتى على وشك الموت .

فالجـان : (يكمل) فى حق روح بريئة !

فـانتين : لو أن هناك إلهاً فى السماء ..

فالجان : لو أننى كنت ساعتها أعرف ..

فـانتين : لجعلنى أموت بدلاً منها ..

فالجـان : وعزة الله قد بدأت مهمتى الآن ، وسوف أنفذها بإذن الله ..

جـافير : ولكن يا سيدى العمدة .

فالجـان : سأنفذها باذن الله .

جـافير : ولكن يا سيدى العمدة .

أصوات : احذروا احذروا .. إنها عربة مندفعة

(العربة تصطدم برجل وينحشر تحتها)

أصوات : انظروا انظروا .. إنه السيد فوشوفيلانت !

لا تقتربوا .. إذا اقتربتم فإنكم تغامرون بحياتكم ، إنه محشور تحت العجلة ، يا للرجل المسكين ، ابتعدوا عن العربة .. فلا أحد يستطيع أن يفعل شيئا .

فالجان : ألا يوجد منكم مَنْ يتقدم لإنقاذ الرجل ؟ مَنْ منكم يساعدنى فى رفع هذه العربة وإنقاذ الرجل من الهلاك ؟

أصوات : لا تقرب منه يا سيدى العمدة ، فوزن العربة ثقيل ثقلاً هائلاً ، والرجل هالك لا محالة ، فإذا حاولت إنقاذه ستموت أنت أيضاً تحت ثقل العربة .

(فالجان يرفع العربة)

فوشوفيلانت : سيدى العمدة ، ماذا أقول لك ، لقد أرسلتك السماء ، أنت قديس !

جـافير : لا أصدق ما تراه عيناى ، رجل فى مثل سنك ما يزال بهذه القوة ؟

إنك تنعش ذاكرتى ، . تذكرنى برجلٍ .. من سنوات طويلة .. رجل خرق قانون العفو .. واختفى .. عذراً يا سيدى .. فأنا لا أجرؤ على الربط بينكما .

فالجـان : هيا ، قل ما يجب عليك قوله .. لا تقطع الكلام عند هذا الحد ..

جـافير : لم أعرف فى حياتى سوى رجل آخر .. رجل واحد .. يستطيع أن يفعل ما فعلته الآن ، وهو مجرم ومحكوم عليه بالسجن ، ولكنه هارب منذ عشر سنوات ، لكنه لن يستطيع أن يهرب إلى الأبد وقد وصلتنا مؤخرا معلومات عن المكان الذى يختبىء فيه .

وأعدنا القبض عليه ، وسوف يمثل أمام المحكمة اليوم ، وبطبيعة الحال فهو ينكر الآن التهم

الموجهة إليه ، وهذا شيء متوقع من مجرم ، لكنه لن يستطع أن يهرب إلى الأبد ، لا ، ولا حتى جان فالجان يستطيع هذا ..

فالجـان : أتقول أن هذا الرجل ينكر كل شيء ، ولا يبدى ندماً ؟

أتقول أن هذا الرجل سوف يمثل أمام المحكمة وان المحكمة بالتأكيد ستعيده إلى السجن ليقضى مدة العقوبة ؟

أنت متأكد إننى ذلك الرجل الذى تعنيه بهذا الكلام؟

جـافير : لقد عرفت هذا اللص سنوات طوالا ، وطاردته عبر كل المسالك والطرقات ، ولكى نجعل الأمر اكثر تأكيداً أقول : هناك وشم على ذراعه ، فإذا كشفت عنه سوف ينهار ويعترف ، وسوف نقطع الشك باليقين .

٤ – المحاكمة

فالجـان : يظن أن ذلك الرجل الآخر هـو أنا ، وإنه تعرف عليه من النظرة الأولى !

وهـذه الآن فرصتى ، فلماذا أصـحح هـذا الخطأ وأعترف له بأن الذى وجده ليس أنا ، بعد أن كافحت طويلا حتى أصل إلى وصلت إليه فى الحياة ؟ فإذا تكلمت دخلت السجن ، وإذا أطبقت فمى على السر الدفين أصبحت ملعوناً إلى أبد الآبدين .

إننى أفتح بيوت مئات العمال ، فهل أستطيع أن أتخلى عنهم وأتركهم بلا عمل إذا أنا اعترفت بحقيقتى ، كيف يعيشون ويعولون أسرهم إذا كنت أنا وراء أسوار السجن ..

وإذا أطبقت فمى على السر الدفين أصبحت ملعوناً إلى أبد الأبدين .

من أنا ؟ ومن أكون ؟

ترى هل من حقى أن أحكم على ذلك الرجل الآخر

بالسجن مدى الحياة وأتظاهر أننى لا أشعر

بمعاناته وما قد يلحق به من آلام ؟

ويلى ، هذا البرىء الذى يحمل وجهاً شبيهاً

بوجهى ، والذى يمثل الآن أمام العدالة بدلاًمنى

ترى مَنْ أنا ؟

هل أستطيع أن أخفى حقيقتى إلى الأبد ؟

وأتظاهر إننى لست نفس الرجل الذى كان من

قبل ؟

وهل محكومٌ علىّ أن أنتحل اسماً آخر يخفى

حقيقتى حتى أموت ؟

وهل لابد أن أكذب الكذبة الكبرى ما تبقى لى

من الحياة ؟

وكيف أواجه سائر الناس ؟

وكيف أواجه نفسى بين الناس ؟

يقينى أن روحى ملك لله ،

وقد عقدت هذه الصفقة منذ زمن طويل ، فقد

أعطانى الله الأمل عندما ذهب عنى كل أمل ،

واعطانى القوة حتى أستمر فى الحياة ..

فمن أنا ؟ من أنا ؟

أنا جان فالجان !

وهأنتذا تعرف الآن يا جافير .. أن هذا الرجل الآخر لا يحمل من الذنوب إلا بقدر ما تحمل أنت.

من أنا .. ؟

السجين رقم ٢٤٦٠١ !

فإذا أرسلت فى طلبى ، ستجدنى فى المستشفى .

٥ – المستشفى

(فانتين مريضة جدا الآن لدرجة أنها تهذى ،
وهى تتخيل أنها ترى طفلتها تلعب)

فـانتين : كوسيت ، الدنيا أصبحت برداً
كوسيت ، فات ميعاد نومك !
كنت تلعبين طول اليوم
والآن قد حل المساء .

هيا يا حبيبتى .. الظلام قد حل

ألا ترين نجمة المساء تظهر فى السماء

تعالى فى حضنى .. ونامى على صدرى

الدقائق تمضى بسرعة مجنونة .. وكل دقيقة تمر

يشتد البرد .. تعالى فى حضنى

ها هو ذا يوم آخر يموت ،

ألا تسمعين ريح الشتاء تبكى

الظلام يحل علينا دون سابق إنذار

لكننى سأغنى لك أغنية المهد وأوقظك فى الصباح !

(يدخل فالجان)

فالجـان : أه يا فانتين .. الوقت يسرقنا ..

ولكن يا فانتين ، أقسم لك بحياتى ..

فـانتين : أنظر ياسيدى ، الأطفال يلعبون فى الطريق !

فالجـان: أهدئى ياحبيبتى .. فلتنزل على قلبك السكينة !

فـانتين : ابنتى كوسيت!

فالجـان : ستعيش فى حمايتى .

فـانتين : خذها الآن

فالجـان : هل تحتاج طفلتك لأى شىء !

فـانتين : ياسيدى الكريم .. أرسلك الله من السماء !

فالجـان : ومادمت أعيش فلن يستطيع أحد أن يلحق الأذى بكوسيت !

فـانتين : خذ بيدى ، الليل يمتد ، والبرد يشتد .

فالجـان : سوف أوفر لك الدفء

فـانتين : خذ طفلتى .. إنى أعهد إليك برعايتها .

فالجـان : فلتحتمى من العاصفة .

فانتين : بالله عليك أبقَ معى حتى أنام ، وقل لكوسيت إنى أحبها ، وإننى سأراها عندما أصحو من النوم .

(فانتين تموت)

جـافير : فالجان .. أخيرا رأينا بعضنا البعض رأى العين ..
« السيد العمدة ! »
هذا يستحق أن نضع فى يديك « كلابشات » من نوع مختلف .

فالجـان : قبل أن تنطق بكلمة أخرى يا جافير
وقبل أن تضع فى يدى الكلبشات مرة أخرى
كأننى عبدٌ لك اصغِ إلىّ ..
هناك شىء لابد أن أفعله قبل أن أمضى معك إلى السجن .
هذه المرأة تركت وراءها طفلة معذبة .

ولا يوجد غيرى من يستطيع إنقاذها من باب
الرحمة ، ولا أحتاج منك إلا لثلاثة أيام ثم أسلم
نفسى ، أتعهد لك بذلك ..
سأسلم نفسى .

جـافير : أتظنني مجنوناً ؟ وقد ظللت أطاردك طوال هذه
السنين .
مثلك لا يتغير .
مثلك مستحيل أن يتغير .

فالجـان : صدق عنى ما تريد .
ولكن علىّ واجب أقسمت أن أؤديه .
أنت لا تعرف شيئاً عن حياتى .
كل ما فعلته أننى سرقت رغيفاً من الخبز
أنت لا تعرف شيئاً عن هذا العالم ..
وقريبا ستجدنى وقد أدركنى الموت
ولكنى لن أموت قبل أن أحقق العدالة الحقة كما
أراها.

إننى أحذرك يا جافير
مازلت أقوى منك جسداً حتى الآن
ومازالت عضلاتى مفتولة
فمثلى لا يدركه الوهن
إننى أحذرك يا جافير
فلن أتورع عن فعل أى شىء ،
حتى لو اضطررت إلى قتلك هنا .

جافير : أمثالى من الرجال لا يتغيرون
وأمثالك من الرجال لا يتغيرون
أيها السجين رقم ٢٤٦٠١
وواجبى هو أن أنفذ القانون .
أنت لا حقوق لك
فلتأت معى أيها السجين ٢٤٦٠١
فقد دارت العجلة دورتها الآن
أتجرؤ أن تحدثنى عن الجريمة
والثمن الذى كان عليك أن تدفعه ؟
كلنا معرضون للخطيئة .

لكن الصالح منا مَنْ يختار طريقه .
أنت لا تعرف شيئاً عن جافير
فأنا ابن بلد .. ولدت مثلك فى الحوارى
والأزقة ، ولدت مثلك فى المجارى !
(فالجان يحطم كرسياً ويهدد به جافير)

فالجـان : إذا صممت على القبض علىّ أقسم لك أنى سأقتلك الليلة

جـافير : لا مهرب لك منى الليلة .

فالجـان : ثق إنى سأرعى أولادك من بعدك .

جـافير : لا مهرب لك منى قلت لك .

فالجان : وسأربى أولادك من بعدك !

جافير وفالجان معا : أقسم لك ستجدنى دائما لك بالمرصاد .

(فالجان وجافير يتقاتلان ، فالجان يطرح جافير أرضا ويهرب)

٦ - الخـــان

كوسيت الصغيرة : هناك قلعة على سحابة
أحب أن أزورها فى منامى
فى هذه القلعة لا أرض هناك أكنسها
لا .. ليس فى قلعتى الراقدة فوق السحابة .
فى القلعة غرفة مليئة باللعب الجميلة
ومئات الأولاد والبنات
لا أحد « يشخط » أو يرفع صوته بالصراخ
لا .. ليس فى قلعتى الراقدة فوق السحاب .
فى القلعة سيدة ترتدى ثوباً أبيض
تضمنى إلى صدرها وتغنى لى أغنية المهد
هى جميلة ، وناعمة الملمس
وهى تقول لى .. كوسيت .. أحبك كثيرا يا كوسيت !

أعرف مكانا لا يتوه فيه أحد

أعرف مكانا لا يبكى فيه أحد

فالبكاء ليس مسموحاً به فى ذلك المكان

لا .. ليس فى قلعتى الراقدة فوق السحاب .

أدركونى ! أعتقد إنهم قادمون .

وأنا لم أنتهِ بعد من الكنس والمسح والتنظيف .

أه .. إنها هنا . إنها المدام !

(تدخل مدام ذناردييه مندفعة)

مدام ذناردييه: ما هذا ! مَنْ هنا ؟ إنها المدام الصغيرة بنفسها ! تتظاهر مرة أخرى إنها كانت فى منتهى الشطارة!

فلتحذرى من أن أضبطك متكاسلة فى عملك ،

ولتحذرى من غضبى !

أمك لا ترسل إلىَّ إلا عشرة فرنكات عفنة !

فماذا تشترى هذه القروش القليلة !

والآن خذى هذا الجردل يا مدموازيل
واملیئه بالماء من البئر .
كان يجب أن أرفض منذ البداية أن أؤويك عندى
فما أغبانى إذ قبلت ذلك .
أنتِ مثل أمك بالضبط .. !
زبالة الشوارع ؟

إبـونين : تعالى ياحبيبتى إبونين ، دعينى أراكِ تبدين فى منتهى الجمال ، هذه القبعة الزرقاء الصغيرة الجميلة
هناك بنات يعرفن كيف يتصرفن بأدبٍ ورقة ،
وكيف يرتدين ملابس جميلة
وأشكر الله على هذا .
أما زلتِ هنا يا بنت يا كوسيت ؟
لن تنفعكِ دموع التماسيح هذه
قلت لك احضرى بعض الماء من البئر الذى
فى الغابة ، فهمتِ ؟

كوسيت : أرجوك لا تجعلينى أخرج وحدى فى هذا الظلام الدامس .

مدام ذناردييه: كفى ، وإلا سأريك كيف يكون العقاب .
لقد طلبت منك شيئا مرة ..
وأنا لا أطلب مرتين !

(يمتلىء الخان بزبائن المساء)

زبون ٣ : تعالى هنا أيتها الحشرة العجوز .

زبون ٢ : هاتِ زجاجة من أجود ما لديك من خمر !

زبون ١ : ماذا لديكم اليوم ؟

ذناردييه : خذ جرب هذا النوع ، مضمون أن يدير الرأس فى الحال وإلا لما كنت ذناردييه

زبائن آخرون: أربعة كئوس من الروم

هنا يا صاحبة الخان !

تناردييه : (لنفسه) حالاً يا ابن الكلب (للزبون) حالاً يا مسيو

زبائن : ١ – هذا المكان أصبح رديئاً للغاية

٢ – هكذا تقول لى كل سنة !

زبائن جاءوا للأكل : مضيّفنا تناردييه صاحب هذا الخان

كان هو أيضا هناك ، هكذا يقولون

أعنى فى معركة واترلو

صحيح أنه وصل إلى المعركة بعد أن انتهى كل شىء ،

ولكنه كان يعرف بالضبط ماذا يريد وما عليه أن

يفعل ، إذ راح يزحف فى الطين – كما سمعتهم

يقولون – يفتش فى جيوب قتلى الإنجليز .

وقد طلع بثروة لا بأس بها

من غنائم الحرب .

ذناردييه : شلة الصايعين

شلة المنحلين

ذوو النكات البذيئة ، الذين يبولون على أنفسهم

أولاد الكلاب

يقضون حياتهم فى الخان ، يعودون إليه دائماً

كما يعود الحمام

إلى غيته ويطرقون بابى فيدفعون أموالا ..

وأنا لا يهمنى سوى ما لديهم من أموال .

زبون ١ للأكل: لا أعرف بالضبط ماذا يضع فى هذا الطبيخ

لابد أنه غرفه من أرض الشارع .

زبون ٢ للأكل: نبيذ مقرف ، لابد أنه عصره

بقدميه !

زبائن آخرون: يا صاحب الخان تعال هنا .

أين ذهب ابن الكلب هذا !!

هات كأساً أخرى قبل الرحيل . ذناردييه .. كأس

أخرى من الجن ، كأس واحدة فقط ، وإلا ضربنى
أبى عندما أعود إلى البيت .

ذناردييه : أهلا بك يا سيد ، وتفضل بالجلوس ، وتعرف
على أفضل صاحب خان فى هذا البلد
فكل ما عداه من أصحاب الخانات ملتوون
مخادعون مزورون .
يخدعون الزبون ، ويزورون الدفاتر .
ونادراً ما تجد صاحب حانة شريفاً مثلى
جنتلمان وسليم النيه
شديد الترحيب ، كريم اليد عف اللسان !
أحيانا يحكى لك قصة خارجة عن حدود الأدب
لأن الزبون أحيانا يحتاج إلى الفرفشة
وهو يحب أن يكون لطيفاً مع زبائنه
فلا يكلفه ذلك شيئا !
وتستطيع أن تحصل منه على أى شىء تريد ..
فكل شىء هنا . له ثمن !
سيد هذا المكان

صاحب هذا الخان

مدير تلك الحديقة المجنونة من الحيوانات

مهمته أن يخفف عن جيوبهم قرشا أو

قرشين

يخلط النبيذ بالماء ، ليملأ الكأس

بالمقدار المطلوب .

يلملم وراءهم مخلفاتهم عندما ينهضون

وعينوهم لا تستطيع أن ترى بوضوح من

شدة السكر

وكلهم يحبون صاحب الحانة

فهو الصديق الحميم للجميع

فأنا أفعل كل ما يدخل إلى قلوبهم السرور ..

يا إلهى ولمَ لا ؟ ألست أحلبهم فى النهاية ؟!

تناردييه مع الكورس : صاحب المكان

ذكى .. لماح .. لا يمكن أن يضيع

زبونا ولو كان ماراً مرور الكرام .

خادم الفقراء .

تحت أمر الأغنياء

مريح ، فيلسوف

وصديق العمر لكل من أراد .

رفيق لطيف

وأنيس ظريف

ننارديه : والهدف هو تنظيف محفظتك من آخر مليم .

تفضل يا سيد

واخلع نعليك .. لتستريح من وعثاء الطريق .

الحذاء ثقيل ، والسفر طويل

وهنا نحاول أن نخفف عنك العبء ..

بتخفيف وزن محفظتك

هنا نطبخ لك الوز

ونحمّر لك اللحم فى السمن

وأشرف بنفسى على كل شىء .. حتى أرتاح .

طعام لا مثيل له

طعام لا يصدقه عقل

أشياء نضعها فى المفرمة

ونتظاهر بأنها لحم مفروم

كلاوى حصان

كبدة قطة

نملأ السجق بهذا وذلك

ومن يريد البيات .. فأهلاً به

وسهلا ..

وجناح العرائس دائما مشغول

أسعار معقولة ، وقليل من المصروفات

الإضافية « فوق البيعة » ..

تدفع مصروفات اضافية مقابل القمل

وأخرى مقابل الفئران

و٢ ٪ مقابل النظر فى المرآة مرتين

و٣ ٪ مقابل النوم والنافذة مغلقة

وعند إعداد الحساب النهائى هناك الكثير من

الخدع التى يعرفها صاحب الخان

فهو يعرف كيف يقفز بالفاتورة إلى ما يريد

من أرقام .. فيضيف شيئاً

هنا وشيئاً هناك .. وتدهش كم هو بارع في

هذه الأمور !

تناردييه والكورس معا : سيد هذا النزل

يعرف كيف يلتقط الزبون

حتى ولو كان من عابرى السبيل ،

فلا يجعله يعبر دون أن

يوقعه فى الفخ خادم الفقراء

نادل العظماء

يريح الزبون ، ويتفلسف عليه

ويشعره بأنه صديق العمر .

صديق الجميع ..

يعطيهم كل ما لديه ..

تناردييه : أيها الكلاب أولاد الكلاب ..

يا إلهى .. يا لكم من حثالة البشر !

مدام ذناردييه: كنت أحلم أنى سأتزوج أميراً

ولكن – الهى – أرأيتم ما حدث لى

منذ أن حلمت ذلك الحلم ؟

هأنذا مع « سيد النزل » !

يا فرحتى !

يريح الزبون ، ويتفلسف عليه

ويشعره بأنه صديق الغبراء !

عقله صغير ، لكنه مكير

هذا الفيلسوف الصغير

يعتقد أنه ضليع فى ممارسة الحب

لكنه فى الحقيقة لا هنا ولا هناك !

يا لها من حيلة قاسية من الطبيعة

أن تحشرنى فى بيت واحد مع هذا « الوسخ »

الله أعلم كيف احتملت أيامى معه

وكيف عشت فى بيت واحد مع هذا الوغد !

ذناردييه والكورس معا: سيد النزل .

مدام ذناردييه : سيد ونصف ؟

ذناردييه والكورس : يريح الزبون ، يتفلسف عليه .

مدام ذناردييه : لا تجعلونى أضحك !

ذناردييه والكورس معا: خادم الفقراء ، نادل العظماء .

مدام ذناردييه : منافق وكذاب ويلعب بالبيضة والحجر

ذناردييه والكورس معا: قولوا جميعا ، فليحى سيد المكان !
قولوا جميعا فلتعش زوجته .

ذناردييه : هيا جميعا ، ارفعوا كئوسكم .

مدام ذناردييه : ارفعوا كئوسكم وادخلوها فى مؤخرة صاحب المكان :

الجميع : فلنشرب جميعاً نخب صاحب المكان !

فالجـان : وجدتها هائمة على وجهها فى الغابة هذه الطفلة الصغيرة .

وجدتها ترتعد بين الظلال

وهأنذا جئت لأساعد كوسيت

وسأدفع أى تسوية مالية تعتبرونها مرضية

سأدفع ما يجب أن أدفع ،

لأعود ومعى كوسيت .

علىّ واجب لابد أن أؤديه

وفى عنقى وعدٌ لابد له من الوفاء

الآن أمها فى رحاب السماء

وقد انتهت آلام فانتين

وأنا أتحدث هنا باسمها

وأقف هنا مكانها

من اليوم وإلى الأبد .

مدام تناردييه : دعنى أخذ معطفك يا سيدى

فالجـــان : كوسـيت سـتعيش فـى حـمايتى .

ذنارديـيـه : أنت هـنا على الـرحب والسـعة .

فالجـــان : ولـن أحـنث أبداً بالـوعـد .

ذنارديـيـه : تفضـل كأسـاً .

مدام ذنارديـيـه : تفضـل بالـجلوس .

فالجـــان : الآن سـيكون لكوسـيت أبٌ .

ذنارديـيـه : مـاذا أفـعل ؟ ومـاذا أقـول ؟

هـل جئت لـتحـمل كـنزنا وتـرحـل ؟

يالـها من جـوهـرة ! يالـها من لـؤلـؤة !

فتاتنا الـصـغيرة أثمن لـدينا من حبات الـعقيق .

وتتـحـدث عما فـى عنقك من دين !

دعنا لا نـختلـف كثيراً من أمـر حبيبتنا كوسـيت .

مسكينة فانتين العزيزة .. لقد استراحت

فهل قمنا بأداء واجبنا نحو ابنتها على أكمل وجه؟

نعم .. لقد شاركتنا خبزنا .. شاركتنا حياتنا ..

وعاملناها كأنها ابنتنا من صلبنا ..

نعم من صلبنا يا سيدى !

فالجـان : مشاعرك تنم عن طيبة قلبك يا سيدى

وسوف أسهل عليك آلام الفراق .

فلنكف عن الحديث عن الصفقة أو الثمـن أو الطمع ،

فهل أقول الآن أننا متفقان ؟

مدام ذناردييه : هذا يتفق تماما والفاتورة المطلوبة

لولا أنها كانت تمرض دائماً ، ومرضها كان

يكلفنا الكثير ، هذه العزيزة الصغيرة .

دواء ، وتكاليف يا سيدى !

ولم نبخل عليها بشىء .

فقد كان من واجبنا - كأى مسيحيين
مؤمنين - أن نتكفل بكل المصاريف .

تناردييه وزوجته معا: شىء آخر ، نريد أن نطمئن .
فأنت تعرف أن الدنيا مليئة بالخونة
والكذابين. لا مؤاخذة وليس فينا من زعل ،
وقد تكون
واحداً منهم ، تقول شيئاً ثم تخدعنا .

فالجـــان : انتهى ، ولا كلمة ، ها هو ذا الثمن المطلوب .
ألف وخمسمائة نظير أتعابكم ، هيا يا
كوسيت ، قولى لهما وداعاً
ولنبحث عن سماء أخرى ودودة
أشكركما على كوسيت
ولن يمضى وقت طويل حتى تنسوها .
هيا يا كوسيت .. هيا يا حبيبتى ومن الآن
لن نفترق أبدا
فأينما أذهب ، تذهبين !

كوسيت : هل تأخذنى إلى حيث يوجد أطفال وقلعة ألعب فيها !

فالجان : نعم ياكوسيت !

نعم ، هذا صحيح !

هناك قلعة فى انتظارك هناك ..

٧ – شوارع باريس

– بعد ذلك بعشرة أعوام

كورس الشحاذين : عينك فى الأرض ترى الشحاذين عند أقدامك .

عينك فى الأرض وأظهر بعض الشفقة إن استطعت .

عينك فى الأرض ترى المكانس تكنس الطريق .

عينك فى الأرض ، أنظر فى الأرض

على رفاقك من البشر !

جافروش : كيف حالك ؟ اسمى ؟ جافروش .

وهؤلاء ناس وهذه مخلتى .

ليس فيها الكثير ، وليست – طبعا – من الفخامة
بمكان ،
إذا فتحتها فلن تجد شيئاً .
وهذه دنياى ، مجتمعى المخملى فى حوارى
سان ميشيل .
نحن نعيش على فتات إحسان المحسنين
ورغم أننا فقراء ، فإننا أحرار !
اتبعونى ! اتبعونى !

كورس الشحاذين : عينك فى الأرض وأظهر بعض الشفقة إن
استطعت .
انظر فى الأرض على رفاقك من البشر .

شحاذة عجوز : لماذا تتبعيننى أيتها الكلبة الصغيرة ،
إذا كنت تريدين احتراف الشحاذة
فأمامك الكثير لتتعلميه .

مومس شابة : اسمعى أيتها الخفاشة العجوز
أيتها الساحرة الخبيثة الملعونة .
المتعة مقابل نقودهم !

الشحاذة العجوز : أعرف ما تعطيه لهم ، تعطينهم الأمراض
وتنشرين بينهم سمومك حتى ينتهى بهم
الأمر فى القبر .

قـــواد : اتركى هذه البقرة العجوز المسكينة وامضى يا
مادلين ،
لم تكن أفضل منكِ حتى أصاب عقلها الخبل !

الشحاذون : أليس لهذه الحياة من نهاية ؟!
ومتى نعيش عيشة كريمة ؟!
سوف يحدث شىء لابد
وسوف تأتى الأيام السعيدة ، سوف تأتى
سوف تأتى ، سوف تأتى ، سوف تأتى الأيام
السعيدة .

انجولراس : أين زعماء هذا الحى ؟
وأين الفتوات الذين يسيطرون على « الحتة » ؟

ماريوس : رجل واحد فقط ، وهو لامارك ،
هو الذى يتحدث باسم هؤلاء الناس .

جافروش : احذروا من ذناردييه العجوز .
وكل عائلته ، فهم دائماً مستعدون جاهزون !
كان يوماً يتأجر فى المخدرات والحشيش .
على قارعة الطريق .
خنزير لئيم بحق وحقيق .
ولديه عصابة هذا الملعون .
حتى ابنته لها نصيب فيما يقوم به من أمور
النصب والخداع ،
نعم ابنته المسماة ابونين ،
ورغم انها مجرد طفلة فعينها بجحة
وتعرف بالضبط ما تريد ، وما تفعل ، وما تقول.
ولكن الأمر لا يخصنا ،
فلا أحد يمكن أن يمسنا
يعيش نحن ، فلنعش ، فلنعش .

الشحاذون : انظر فى الأرض ، واظهر بعض الشفقة إن استطعت .

انظر فى الأرض على رفاقك من البشر .

ذناردييه : كل واحد منكم هنا يعرف مكانه .

بروجون ، بابيه ، كلاكسو

وأنتِ ، يا مونبارناس ، خللى بالك من القانون .

مع أيبونين خذوا حذركم

حتى تسيل دموعكم

فالأمر ليس يا أصحابى هزار !

مدام ذناردييه : أولاد الكلب الطلبة هؤلاء ، عادوا

يتسكعون فى حارتنا

وسوف تلقى ابنتنا أبونين نفسها تحت أقدامهم

فليس لديها ذرة عقل تفكر به .

ماريوس : ها يا أبونين ، ما الأخبار اليوم ؟!

لم أركِ منذ زمن طويل !

أبـونين : أنت دائما تضبطنى كده !

ماريوس : لا تخافى منى أنا وإنما خافى من البوليس .
هو الذى قد يضبطك :

أبـونين : بتعمل إيه بالكتب دى كلها ؟ كان يمكن أن أدخل
المدرسة أنا أيضا ،
لا تحكم على فتاة من شكلها ، أنا
عقلى كبير جدا .،. وأعرف أشياء كثيرة .

ماريوس : مسكينة يا أبونين ، الأشياء التى تعريفينها لن
تجديها فى كتبٍ مثل هذه .

أبـونين : تعجبنى طريقة تسريحة شعرك !

ماريوس : تعجبنى طريقتك فى اغاظتى دائما .

أبـونين : (جانباً) مش فاهم حاجة ، ولا شايف حاجة ! مسكين !

مدام ذناردييه : أيها الولد ، شوف شغلك وأعرف الأصول والقانون !

أبـونين : لا شغل لك بما يجرى هنا .

ماريوس : ولكن يا أبونين ..

أبـونين : ستقع هنا فى المشاكل ، والأمر لا يخصك . « خليك انت فى السليم »

ماريوس : مَنْ هذا الرجل ؟

أبـونين : دعنى وشأنى .

ماريوس : ولماذا هو هنا ؟ آه يا أبونين ، اعذرينى ..

لم أركِ هناك .

ذناردييه : (لفالجان) من فضلك ياسيدى .. تفضل هنا .
هذه الطفلة لم تأكل طوال اليوم
انقذ حياتها ، تبرع لها بقرش
والله يكافئك على كل ما تفعله من خير
انتظر لحظة ، أنا أعرف هذا الشكل جيدا
ياه على هذه الدنيا الصغيرة بحق !
مثلى لا ينسى شيئاً .. أنت الوغد الذى أخذ
منا كوسيت .

فالجــان : ما هذا ؟ هل جُننت ؟ أنت ياسيدى لا تعرف
ماذا تفعل !

ذناردييه : أنت تعرفنى جيدا.. تعرفنى جيدا .. أنا فتوة
مثلك تماما .

أبــونين : الحقوا .. البوليس .. اهربوا .. اختفوا ..

اطلقوا السيقان للريح . إنه جافير .

جـافير : خناقة أخرى فى الميدان ! أشم رائحة نتنة
فى الهواء ، من كان شاهداً على هذه
الواقعة فليتكلم ويحكى لجافير .
(لفالجان)
يا سيد ، الشوارع ليست آمنة
ولكن فليحذر هؤلاء المجرمون ، فلن
يفلت أحد من يد العدالة .
انظر إلى هذه المجموعة من الحشرات والديدان
كأنما زاحفون من تحت أحد الأحجار
لو صادفوك لأكلوك لحماً وتركوك عظاماً .
أنا أعرف هذا الرجل الواقف هناك
أعرفه ، وأعرف مهنته ، فإذا أدليت
بشهادتك يا سيدى ، ستعرف كيف تجعله
يدفع ثمن الاجرام .
(يستدير ليجد فالجان قد اختفى)

جـافير : ولكن أين اختفى هذا السيد ، ولماذا أطلق ساقيه للريح ؟

ذنارديه : انطلق وراءه لتلحق به فهو الذى يستحق القبض عليه .
صحيح أن منظره يدل على أنه من الاثرياء ، لكن إذا مزقت قميصه من عند الصدر ستجد علامة تفضح أمره .

جـافير : أيمكن أن يكون طيراً بحرياً ألقت به
الأمواج أخيراً إلى الشاطىء منُهكاً متعباً ؟
ما أن سمع اسمى حتى أطلق ساقيه للريح .
كان رقمه فى السجن محفوراً على صدره
والفتاة التى كانت تقف بجواره اختفت هى
الأخرى حين استدرت .
أيمكن أن يكون هو الرجل الذى أبحث عنه !
أيمكن ان يكون هو جان فالجان !

دناردييه : في غيبة ضحية ، يا عزيزي المفتش ، هل
تسمح لي بالذهاب ؟
وتذكر أنك عندما التقطه .. كنت أنا
الذي ساعدك على ذلك .

جـافير : (جانباً) فليطلق ساقيه للريح ما شاء !
فلسوف أظل وراءه حتى تبكي قدماه .
(للمجموعة)
« كل واحد يشوف شغله »
اكنسوا زبالة البشر هذه من الشارع !
هناك في جنح الظلام ..
هارب يطلق ساقيه للريح
وقد أثقلت كاهله خطاياه .
ليكن الله شاهداً عليّ فلن اهدأ أو ألين
حتى أقابله وجهاً لوجه !
حتى أقابله .. وجها لوجه !
إنه يعرف طريقه في الظلام
أما طريقي فهو طريق الله .

ومن يتبعون طريق الحق سوف ينالون حسن

الجزاء .

فإذا سقطوا ..

كما سقط الشيطان

فماً لهم إلى الجحيم وبئس المصير .

النجوم فى أفلاكها .. لا حصر لها ..

تملأ الظلمات بالنور والنظام .

أيتها النجوم .. أنتِ حراس الكون .. صامتهَ

واثقة.

فلتحرسى الكون فى هذا الليل

فلتحرسى الكون فى هذا الليل .

أيتها النجوم – أنت تِعرفين مكانك فى السماء

وتعرفين مساركِ .. والمدارَ

وكل فى فلكها

تدور تدور .

فإذا سقطتِ

كما سقط ابليس ..

فمآلك إلى النار إلى الجحيم .

إذ هكذا المكتوب فى اللوح المحفوظ ..

فى الطريق إلى الجنة

إن هؤلاء الذين يتعثرون

والذين يسقطون

لابد أن يدفعوا الثمن .

يارب ساعدنى أن أجده

حتى أضعه وراء أسوار السجن

فلن أستريح حتى أضعه فى السجن

أقسم على ذلك ..

أقسم بهذه النجوم !

جـافروش : المفتش يظن نفسه مهما .

لكننى أنا الذى يدير هذه المدينة !

ومسرحى لا يُغلق أبدا

والستار عندى لا تسدل

ثقوا فى جافروش ، لا تخافوا .. لا تقلقوا
ويا ست الكل .. سوف تجديننى دائماً هنا .

إبـونين : كوسيت ! الآن أتذكر كوسيت :
كنا أطفالاً معا .. فانظر كيف أصبحت أنا .
يا الهى .. ماذا حدث لى ؟!

ماريوس : هذه الفتاة ترى مَنْ تكون ؟

إبـونين : الشرطى ، يريد أن يوقع بنا ، لكنه ليس ذكياً .. لا ليس هو .

ماريوس : إبونين ، من تكَون هذه الفتاة ؟

إبـونين : تلك المتغطرسة التى لا تساوى ثلاثة مليمات .

ماريوس : إبونين .. احضريها .. أريدها .

إبـونين : كم تعطـنى ؟!

ماريوس : أى شـىء !

إبـونين : هى تثيرك الآن ، ولكن يعلـم الله ماذا ترى فيها .
هل أنت مبسـوط الآن ؟ لا ياسيدى لا أريد
نقودك.

ماريوس : إبونين . افعلى هذا من أجلى ..
اعرفى لى أين تعيش .. وكونى حذرة
فلا تدعى أباك يعرف شيئا عن الموضـع
إبونين .. أنا ضـائع
حتى أجدها .

إبـونين : ألـم أقل لك إنى أعرف الـكثير ..
تأكد أن إبونين تعرف جيداً كل شـىء .

٨ – مقهى الأصدقاء

كومفير : عند كنيسة نوتردام يعدون المتاريس .

فـوى : عند شارع دى باك ، يلهبون ظهور الناس بالسياط .

كورفرياك : الطلبة ، والعمال ، وكل الناس ..
كتلة من البشر تجرى كالنهر المتدفق
كالمـد عندما يجيش به البحر
باريس تأتى لتنضم إلى صفوفنا .

انجولرا : اقتربت الساعة
اقتربت حتى كاد الدم يغلى فى عروقهم
ومع ذلك فاحذروا ..
لا تجعلوا خمر النصر تدير رؤوسكم
فالجيش الذى نحاربه عد وخطير وشرس

به من الرجال والعتاد مالا قبل لنا به .

من السهل أن نمكث هنا ونصطادهم كالذباب .

لكن الحرس الوطنى سيكون أشد قوة

وأصعب كثيرا فى الاصطياد .

نحن فى حاجة إلى شعار

يجمع الناس حولنا ،

يدعوهم إلى حمل السلاح

يدخلهم فى صفوفنا .

ماريوس .. لقد تأخرت !

لـولى : ما الخبر ؟ تبدو كأنك رأيت شبحاً .

ماريوس : شبحا تقول ؟ ربما كان رأيت شبحاً .

كانت بالنسبة لى كالشبح ، ظهرت ثم سرعان

ما اختفت ..

جرانيتر : أنا فى غاية الدهشة ..

هل وقع ماريوس فى الحب أخيرا ..

لم أراه أبدا يتأوه من الحب آه .. أووه ..
تتحدثون عن المعارك وكيف نكسبها
وها هو ذا يأتى مثل دون جوان ..
والله المسألة أصبحت أفضل من رؤية عرض فى
الأوبرا .

انجولرا : حان الوقت لكى نقرر جميعا مَنْ نحن
وما نريد ، هل نحارب الآن من أجل الحصول
على الحق فى قضاء ليلة بالأوبرا؟

وهل سألتم أنفسكم ما هو الثمن الذى قد
تدفعونه ؟
وهل ما نفعله الآن هو ببساطة لعبة يلعبها شباب
الأغنياء؟
إن لون العالم يتغير يوم بعد يوم ..
واللون الأحمر .. هو لون الثوار الغاضبين !
أما اللون الأسود .. فهو لون ظلام عصور
مضت ..

الأحمر .. لون الدنيا عندما يبدأ الفجر فى الشروق ..

الأسود .. ليل قارب النهاية !

ماريوس : لو أنك كنت هناك الليلة لكنت عرفت كيف ترتعش

حتى النخاع فى لحظة من النشوة اللاحقة الأنفاس .

لو أنك كنت هناك الليلة لأدركت كيف تتغير الدنيا

فى ومضة واحدة من النور ، وما كان حقاً بدا

باطلاً ، وما كان باطلاً بدا هو الحق .

الأحمر : أشعر ان روحى تقف على جمر النار .

الأسود : هو دنياى إذا لم تكن هى فيها .

الأحمر : لون الرغبة العارمة .

الأحمر : لون اليأس القاتل !

أنجولرا : ماريوس ، لم تعد طفلا ، لا شك عندى أن

مشاعرك هذه طيبة وجميلة ، لكننا الآن

نسعى وراء هدف أعظم ، ما أهمية
روحك الوحيدة ؟
نحن نسعى وراء هدف أعظم ، حياة كل فرد منا
لا تساوى شيئا ازاء ذلك الهدف .

الطلبة : الأحمر ، لون الثائرين الغاضبين
والأسود ، لون ظلام عصور مضت
والأحمر ، لون الدنيا عندما يبدأ الفجر فى
الشروق ،
والأسود ، ليل قارب النهاية .

أنجولرا : ألدينا كل البنادق يا أصدقاء ؟ الوقت يسرقنا .
جرانيتر ، ضع هذه الزجاجة وكف عن الشرب ،
ألدينا كل البنادق يا اصدقاء ؟

جرانيتر : قطرة من البراندى ألقفها على شفتى ،
ومع زئيرى سوف يتساقطون جميعا إلى الموت

كورفيرياك : سنقاتلهم فى شارع سان انطوان رجلاً لرجل .

كومفير : وعند كنيسة نوتردام ينزعون الأحجار حجرا حجرا .

فـوى : ها هى ذى عشرون بندقية كالجديدة تماما .

جافروش : اسمعوا !

لـولى : عشرون دورة لكل رجل منكم .

جافروش : اصغوا إلىّ .

بروفير : ومثلها عند ميناء سان كلور

جافروش : اسمعوا جميعا !

لـولى : سبعة مواقع فى شارع سان مارتين !

جافروش : الجنرال لا مارك مات !

انجولرا لامارك مات ؟! لامارك ، موته هو ساعة القدر ،
رجل الشعب ، موته هو اللحظة التى كنا
ننتظرهـا ،
يوم جنازته سوف يكرمون اسمه ، إنها صرخة ،
ستصل الأسماع كل الآذان ، فى موت لامارك
سوف
نشعل كل النيران ، وسوف يعرفون ان يوم
الخلاص
قريب ، حان الوقت يا أصحاب ، فلنرحب بموته
فى شجاعة وسعادة .
فموته سيجعل كل الناس يلتفون حول الثورة
ولنمض إلى الشـوارع بلا أدنى ذرة خـوف فى
قلوبنا ، ومع أول نداء سوف يلتف الشعب
حـولنا ،
وسيأتون إلينا واحداً واحداً يلبون النداء .

انجولرا : أتسمعون الشعب يغنى أغنية الغاضبين ؟
إنها موسيقى شعب لن يقبل العبودية بعد الآن .
عندما ترجع ضربات قلبك صدى دقات الطبول ،
فاعرف إن حياة جديدة توشك أن تبدأ
مع اشراقة شمس الغد .

كومفير : هل تنضم إلى صفوفنا ؟ استجمع قوتك وقف
بجانبنا وراء المتاريس ، هل تلمح دنيا تريد أن
تراها ؟

كورفيرياك : انضم إلى القتال ، فسوف يعطيك ذلك الحق من
الحرية .

كورس : أتسمعون الشعب يغنى ؟ يغنى أغنية
الغاضبين ، إنها موسيقى شعب لن يقبل
العبودية بعد الآن ، عندما ترجع ضربات
قلبك صدى دقات الطبول ، فاعرف ان حياة
جديدة توشك أن تبدأ مع اشراقة شمس الغد .

فــوى : أبذل كل ما يمكن لك أن تبذله حتى ترتفع أعلامنا
عالية خفاقة ، سيسقط بعضنا ، ويعيش
الآخر ، فهلا أتيت وأخذت فرصتك ، إن
دماء الشهداء ستروى حقول فرنسا .

كورس : أتسمعون الشعب يغنى ؟ يغنى أغنية الغاضبين ،
إنها موسيقى شعب لن يقبل العبودية بعد الآن ،
عندما ترجع ضربات قلبك صدى دقات الطبول ،
فاعرف ان حياة جديدة توشك أن تبدأ مع اشراقة
شمس الغد .

٩- شارع پلوميــه

كوسيت : غريب هذا الاحساس الذى ينتابنى بأن
حياتى بدأت أخيراً
هذا التغيير المفاجىء ، هل يمكن أن يقع الناس فى
الحب بهذه السرعة ؟ ماذا حدث لك ياكوسيت ؟
هل عشتِ وحدك فترة طويلة حتى أن أشياء
كثيرة أصبحت أمامك غير واضحة أو مجهولة ؟
فى حياتى العديد من الأسئلة والإجابات التى تبدو
الآن خاطئة .
أحيانا أمسك فى الصمت بتنهيدة ، أغنية تنبعث
من بعيد .
أغنية تشدو بالحياة التى أتوق إليها .. حياة لا
أستطيع أن أبلغها ، وهى أمامى على بعد همسة ،
تنتظرنى أيعرف انى أعيش ؟
وهل أعرف أنا انه إنسان حقيقى من لحم ودم ؟
وهل يرى ما رأيته ؟

وهل يشعر بما أشعربه ؟

فى حياتى ، لم أعد وحدى

فالحب الآن فى حياتى على مرمى البصر

تعالَ إلىّ الآن ، تجدنى هنا فى الانتظار .

فالجــان : عزيزتى كوسيت . كم أنتِ طفلة وحيدة ، كم يكتسى وجهك بالحزن والشجن ، صدقينى ، لو كان الأمر بيدى لظللت معك طول الحياة ، وكم ستكون الحياة هادئة ناعمة ونحن معا ، أنا وأنت وحدنا .

كوسيت : كم أود أن أعرف الكثير عن تلك الطفلة التى كانت أنا منذ سنين ، أنت لا تحكى لى شيئاً عن تلك الأيام البعيدة فى الماضى ، فلماذا تحتفظ لنفسك بكل أسرارها ؟ولماذا تطوى صدرك على ما تعرفه عنها ، أسرار عميقة ومظلمة تلك التى تطوى عليها صدرك .

فى حياتى

لدىَّ كل ما أريد -

أنت محب ورقيق وخيِّر .

ولكن يا بابا العزيز

فى عينيك أنا ضائعة مثل طفلٍ تائهٍ فى الغابة .

فالجـــان : كفى كلاماً ، كفى كلاماً ، إنه ماضٍ انتهى ومات .

هناك كلمات من الأفضل الا تسمح ، الأفضل الا تُقال .

كوسيت : فى حياتى

لم أعد طفلة ، وأتوق إلى معرفة الحقيقة التى تعرفها ..

حقيقة تلك السنوات التى مضت وانطوت صفحتها .

فالجـــان : ستعرفين أن الله هو الذى يمنح الحقيقة لنا جميعا كلٌ فى وقته ، وكل عندما يحين دوره ..

ماريوس : إنسابت فى حياتى مثل موسيقى الملائكة ..

مثل نور الشمس !

وحياتى الماضية تبدو كأنها ستتوقف كما لو

أن شيئاً انتهى ، وشىء آخر يكاد يبدأ.

إبونين ، أنت الصديقة التى جاءت بى إلى

هنا ..

وبفضلك اتحدت روحى مع الآلهة

واقتربت منى السماء !

وهـأنا أحلق فى عالم جديد .. حر !

إبـونين : (جانبا) كل كلمة يقولها كالخنجر يطعننى

فى قلبى ليس كمثله إنسان آخر فى أى مكان ،

لو أنه طلبنى .. لأصبحت على الفور ملكا له !

ماريوس وابونين : فى حياتى إنسان يلمس شغاف قلبى

ماريوس : انتظره عن قرب .

إبـونين : انتظره هنا .

ماريوس : قلبٌ مليءٌ بالحب و تنساب دقاته كالموسيقى ..
لكننى - ياإلهى - ارتكب الخطأ وراء الآخر فأنا لا
أعرف حتى الآن ما اسمك
ياآنستى العزيزة ، فهل تتكلمين ، وهل تقولى
لى ما اسمك ؟

كوسيت : قلبٌ مليءٌ بالحب ، لا خوف .. لاندم ..

ماريوس : اسمى ماريوس يونميرس .

كوسيت : وأنا اسمى كوسيت .

ماريوس : كوسيت ، لا أدرى ماذا أقول .

كوسيت : لا تقل شيئا .

ماريوس : أنا ضعت !

كوسـيت : وأنا وجدت !

ماريـوس : قلب ملئ بالنور . . .

كوسـيت : وليلى مضئ كالنهار .

ماريـوس : لا تتركينى أبدا كوسيت ، آه يا كوسيت !

كوسـيت : ما ربط بيننا لن ينكسر أبداً .

ماريـوس : هل أنا فى حلم أم فى علم ؟

كوسـيت : أنا فى علم .

ماريـوس : قلبى ملئ بالحب .

كوسـيت : قلبى ملئ بك

ماريوس : من أول نظرة ثم عرفت .

كوسيت : أنا أيضا عرفت .

ماريوس : بدءا من اليوم

كوسيت : وكل يوم .

كوسيت وماريوس : لا ليس حلماً ما نحن فيه ليس حلما .
لا ليس حلما .

أبونين : مونبارناس ، ماذا تفعل بعيداً عما يحدث هنا ؟

مونبارناس : سوف نفعلها ، في هذا المنزل . رجل غني ، مليء الجيوب
هل تذكرين ؟ هو الرجل الذى هرب ذلك اليوم وعلى صدره محفور رقمه عندما كان في السجن ، ربما كان ثروة وهبطت علينا من السماء .

أبـــونين : يارب ! ساعدونى يا خلق هوه . .

مــاذا سيظن بــى ؟ إننى قــد بَصـبْت لــه

كمينا ، وسيظـن إنـى ضليعة فـى كـل هــذا ،

ماذا اقــول وماذا أفعل ؟

لابــد أن أحــذره مما سيحــدث لـه ، لابـد أن

أجـد طريقـة .

١٠- محاولة السرقـــــة

ذناردييه : أشم رائحته ، إن الثعلب العجوز هنا فى مكان ما . أنه ينكمش حتى لا يراه أحد
ويلتصق بالأرض ، حتى يظل بعيداً عن العيون
أشم رائحة المكسب هنا !
منذ عشر سنوات ، جاء ودفع ليأخذ كوسيت
وتركتها تذهب معه لقاء أغنية - حان الوقت
لكى تسوى هذه الديون .
وهذا سيكلف الكثير .

بروجون : لا يهمنى مَنْ ستسرق ، لا يهمنى سوى نصيبى ، أين نصيبى ؟

ذناردييه : أنت تخرس تماما ، ساعدنى وبس !

بروجون : من هنا .

تناردييه : ومن هذه القحبة ؟

بابيب : إنها ابنتك ابونين التى لم تُحسن تربيتها .
ألا تعرف ابنتك ؟
لماذا تمشى وراءك ؟

تناردييه : أبونين : هيا امشى إلى البيت فورا .
لا شان لك بما يحدث هنا « مش ناقصينك » هنا أيضاً .

إبونين : أنا أعرف هذا البيت ، وأؤكد لك أنه ليس هنا ما يفيدك فى شىء ، لا يوجد هنا إلا الرجل العجوز والبنت ، وهما يعيشان حياة عادية .

تناردييه : لا تتدخلى فيما لا يعنيك يا آنسة ، وهيا اخرجى من هنا دون « طولة لسان » .

بروجون : هى تدخلنا فى الكلام !

كلاكـــو : يحدث فى أحسن العائلات !

مونبا رناس : روحى يا إبونين ، روحى ، أنتِ تعطليننا .

إبونين : سوف أصرخ ، وسوف أوقظ من فى البيت .

ذناردييه : صرخة واحدة وستندمين على ذلك عاماً كاملاً .

كلاكـــو : والله منظر جميل ، . قطة متوحشة وأبوها يتشاجران على عضمة فى الطريق !

برجون : بس ، ولا كلمة منك له لها .

إبـونين : أنا قلت لكم .. سأصرخ يعنى سأصرخ

(تصرخ)

ذناردييه : (يضع يده على فمها) كفى يا بنت ، ستدفعين ثمن ذلك غاليا الليلة ، وسأجعلك تصرخين بحق. اتركها لى ... أطلقوا سيقانكم للريح .

اسلكوا طريق المجارى . انطلقوا تحت الأرض !

ماريوس : كانت صرختك التى جعلتهم يهربون ،
ولثانى مرة يا إبونين ، تنقذيننا اليوم
حبيبتى كوسيت ، صديقتى إبونين جاءت بى
إليك وجعلتنى أعرف الطريق !
أحدهم يقترب ، فلنختبئ حتى لا يرانا أحد .

فالجان : يا إلهى يا كوسيت ! سمعت صرخة فى الظلام ،
سمعت صرخات أصوات غاضبة فى الطريق .

كوسيت : كانت هذه صرختى التى سمعتها يا بابا ، كنت
خائفة ممن كانوا مقدمين عليه ، وهربوا عندما
سمعونى أصرخ .

فالجان : كوسيت يا طفلتى ، ما عسى سيحدث لك ؟

كوسيت : رأيت ثلاثة رجال وراء الجدار ، ثلاثة أشباح لرجال

يسرعون الخطى !

فالجـــان : هذا تحذير لنا جميعا ، هؤلاء هم أشباح الماضى .

(جانبا)

لابد انه جافير !

لقد اكتشف أخيرا تنكرى فى هيئة شخص آخر .

لا بد أن آخذ كوسيت بعيداً عن هنا

قبل أن يعود

لا بد أن تبتعد عن الأشباح التى لن تسمح لنا

بالوجود .

وفى الغد نشد الرحال إلى ميناء كاليه ، ثم إلى

سفينة تمخر عرض البحر !

اسرعى يا كوسيت ، استعدى للرحيل ولا تقولى

شيئا آخر ، غداً نرحل من هنا .

اسرعى يا كوسيت – حان الوقت لنغلق باباً آخر،

ونعيش يوما آخر .

١١ – نهاية الفصل الأول

فالجـــان : يوم آخر !

يوم آخر ، قدر آخر

هذا الطريق الذى لا ينتهى

هؤلاء الرجال الذين يعرفون جريمتى

سيعودون – بالتأكيد – مرة أخرى

فى يوم آخر .

ماريوس : أنا لم أكن أعيش حتى اليوم ،

فكيف أعيش ؟

ونحن مفترقان ؟

فالجـــان : يوم آخر .

ماريوس وكوسيت : غداً سيفصلنى عنك عالم بأكمله

ومع ذلك ، فإن عالمى قد بدأ بك

إبونين : يوم آخر أعيشه وحدى .

ماريوس وكوسيت : فهل نلتقى ثانية ؟ هل نلتقى أبداً ؟

إبونين : يوم آخر وهو لا يهتم بى ..

ماريوس وكوسيت : ولدت لأكون معك .

إبونين : كان يمكن أن تكون حياتى رائعة معه !

ماريوس وكوسيت : وأقسم على الإخلاص لك .

إبــونين : لكنه لم يرنى قط هناك !

انجولــرا : يوم آخر قبل أن تهب العاصفة !

ماريوس : هل أذهب وراءها أينما تذهب ؟

انجولــرا : عند متاريس الحرية .

ماريوس : أم أنضـم إلى أصدقائى هناك ؟

انجولــرا : عندما تنظم صفوفنا .

ماريوس : هـل أبقى ، . وهـل أجرؤ ؟

انجولــرا : هـل تأخذ مكانك معى ؟

كــورس : الوقت المناسب هـو الآن !

اليوم المناسـب قد جاء !

فالجـان : يوم آخر !

جــافير : يوم آخر وتبدأ الثورة ، وسـوف نخمدها فى المهد

.وسنكون جاهـزين لهؤلاء التلاميذ .

سـنجعلهم يبللون ملابسـهم – بالدم !

فالجـان : يوم آخر .

ذناردييه : وعندما يجرون على غير هدى ،

أمسكوا بهم وهم يسقطون

فالحظ قد يكون حليفك عندما تصبح الغنيمة

نهبا للجميع .

وهم سيموتون على أى حال ، فلن يحسوا

ساعتها بأن شيئا قد ضاع منهم .

الطلبة الثوار : يوم آخر إلى بداية جديدة

فلنرفع علم الحرية إلى عنان السماء

وكل مواطن سيصبح ملكاً

وكل مواطن سيصبح ملكاً

أمامنا عالم جديد ينتظرنا لنفوز به

عالم جديد هو ملك لنا .

ماريوس : مكانى هنا .. وسأحارب معكم .

فالجـــان : يوم آخر !

ماريوس وكوسيت : أنا لم أكن أعيش حتى اليوم فكيف أعيش ونحن مفترقان ؟

جافير : سوف اقتفى أثر أبطال الشعب هؤلاء .. وسأتبعهم أينما يذهبون سوف أطلع على أسرارهم ، وأعرف ما يعرفون ..

إبونين : يوم آخر أعيش وحدى

فالجـــان : يوم آخر !

ماريوس وكوسيت : غداً سيفصلنى عنك عالم بأكمله ومع ذلك ، فان عالمى قد بدأ بك .

جافير : يوم آخر وتبدأ الثورة وسوف نخمدها فى المهد

سنكون جاهزين لهؤلاء التلاميذ

ذناردييه : وعندما يجرون على غير هدى أمسكوا بهم وهم يسقطون.فالحظ قد يكون حليفك عندما تصبح الغنيمة نهبا للجميع .

فالجـان : غداً سنكون بعيدا بعيدا ،
وغداً يوم الحساب ، غدا يوم الحساب !

الجميع : وغداً نعرف ما أراده الله بنا
فجر آخر
يوم آخر
يوم آخر

(ستـــــــار)

الفصل الثاني

البؤساء

١ – شوارع باريس
(انجولرا يخاطب جميع الطلبة)

أنجولرا : هنا فوق هذه الأحجار سنبنى متاريسنا فى قلب المدينة التى نطالب بأن تكون لنا ، فليتحمل كل منكم مسئوليته ، ويؤدى واجبه بقلب من حديد .
انتظروا ..
أريد تقريراً عن مبلغ قوة العدو

جافير : (متنكرا فى هيئة واحد من الثوار)
سوف أعرف عنهم كل شئ .
أنا أعرف أساليبهم ، وفى شبابى خضت حروبهم
ومررت بهذه العواطف الجامحة مثلهم ..

بورفير : الآن سيعلن الشعب الحرب !

لولي : وسيفعل الشعب ما هو حق .

(ماريوس يرى إبونين متنكره فى زى صبى)

ماريوس : أنتَ أيها الولد . ما هذا الذى أرى ؟
يا إبونين .. ما هذا الذى تفعلين ؟

إبـونين : أعرف أن مكانى ليس هنا .. ومع ذلك فأنا أريد أن
أكون معك .

ماريوس : إذهبى قبل أن تبدأ المعركة .. اذهبى !
إبونين .. قد تصابين بطلقة رصاص !

إبـونين : ها قد جعلتك تقلق على ، هذا يثبت أن لى معزة
خاصة لديك .

ماريوس : أنت جئت من السماء ! هناك طريقة يمكن أن
تساعدينى بها .
أرجوك ، احملى هذا الخطاب إلى كوسيت .
وادعى الله أن تكون هناك ولَم ترحل بعد .

إيـونين : أنت لا يهمك إلا نفسك ، ولا تعرف شيئاً عن مشاعر الآخرين !

٢ - شـارع بلوميـه

إيـونين : لدى خطاب يا سيدى ، موجه إلى ابنتك كوسيت. خطابٌ من شاب عند المتاريس يا سيدى ، فى شارع فييت .

فالجـان : اعطنى هذا الخطاب يا ولدى !

إيـونين : طلب منى أن أسلمه لكوسيت . !

فالجـان : أعدك بأن ابنتى ستعرف فحوى هذا الخطاب . قل لذلك الشاب إنها ستقرأ الخطاب غداً ، وخذ هذا لقاء أتعابك ، والآن اذهب دون أن يشعر بك أحد ، ولتختفى عن الأنظار ، فالخطر كل الخطر

فى الشوارع هذه الليلة !

(يفتح الخطاب ويقرأ)

حبيبتى كوسيت ، يا أعز مخلوق ، لقد استوليتِ على روحى ، ومع ذلك سترحلين بعيداً عنى ، مر الزمن كالبرق الخاطف منذ أن تقابلنا كأنه يوم واحد ، منذ أن ولد العالم من جديد ، وإذا مت فى المعركة القادمة فليكن هذا وداعنا الأخير ، والآن وقد عرفت إنكِ تحبيننى مثلما أحبك ، فالموت أصبح شيئا صعبا وكريها ، . وأدعو الله أن يعيدنى إلى بيتى سليما معافى حتى أكون معك ، صلى من أجل حبيبك ماريوس ، فهو يصلى من أجلك ! ..

إبـونين : وهأنذا أصبحت وحدى مرة أخرى . بلا مكان يأوينى ، ولا أحد اذهب إليه ، بلا بيت ولا صديق ، ولا رفيق .

والآن وقد اقترب المساء ، سوف أخدع نفسى بأنه

ما يزال معى .

أحياناً أسير وحدى فى المساء عندما ينام الناس ،
وأفكر فيه . فأحس بالسعادة وكأنى فى صحبته ،
المدينة تأوى إلى فراشها وأنا أعيش فى خيالاتى
وأحلامى وحدى ، أتخيل أنه بجانبى .

وحدى أسير معه حتى الصباح ، وهو ليس
بجانبى ، وأشعر بذراعيه تحيطنى ، وعندما يضل
من قدمى الطريق اغمض عينىّ فأراه أمامى .
فى المطر يتلألأ الرصيف كالفضة ،
والأنوار تنعكس على صفحة النهر كأنها سر
غامض ، وفى الظلام تتخيل أشعة النجوم أوراق
الشجر .
ولكننى لا أرى إلا أنا وهو .. فقط وللأبد .
رغم أنى أعرف إنها خيالات فى ذهنى .
وأننى لا أحدث إلا نفسى ، لا هو .
ورغم أننى أعرف إنه لا يرانى فما زال لدى أمل
فى طريق يجمعنا معا .

إنى أحبه ، ولكن عندما ينتهى الليل يختفى ،

فيصبح النهر مجرد نهر ، وتصير الأشجار أشجاراً ،

والطرقات في كل مكان مملوءة بالغرباء .

إنى أحبه ،

لكن كل يوم يمر ، أدرك اننى كنت طيلة حياتى أخدع ذاتى .

فبدونى ستظل دنياه تسير، دنيا مليئة بالسعادة لم أعرفها أنا قط .

إنى أحبه ، لكنه حب من جانبى وحدى .

٣ – عند المتاريـس

أنجولرا : كومفير ، فوى ، كورفيراك ، بروفير : الآن نعاهد أنفسنا أن نقاوم حتى الموت وراء هذه المتاريس

ماريوس : فليأتوا فى فيالقهم ، وسوف ، وسوف نتصدى لهم .

أنجولرا : ثقوا فى أنفسكم ، ولا تخافوا !

جرانتير : فلنعطهم علقة ساخنة لن ينسوها أبداً !

كومفير : من هنا نبدأ .

كورفيراك : فإذا قُدر لى أن أموت فى المعركة من أجل الحرية ، ستجدوننى فى أصعب مواقع القتال وأكثرها احتراما .

فـــوى : فليأتوا إذا كانت لديهم الجرأة ، فنحن لهم !

ضابط جيش : أنتم يا مَنْ تقفون وراء المتاريس .. اسمعونى !
لن ينضم إليكم أحدٌ فى هذا القتال !
فأنتم وحدكم بلا عون ولا صديق ،
سلموا أسلحتكم .. أو واجهوا الموت !

انجولرا : اللعنة على انذاراتهم وأكاذيبهم ، سوف يشاهدون بأعينهم انتفاضة الشعب !

انجولرا والجميع : اللعنة على انذاراتهم وأكاذيبهم ، سوف يشاهدون بأعينهم انتفاضة الشعب !

حارس : (جولى) لقد عاد .

جـافير : اسمعوا يا أصدقاء .
لقد فعلت ما قلت إنى سأفعله ،
وذهبت إلى خطوطهم ، وأحصيت عددهم رجلاً رجلاً ، وسأخبركم بما أستطيع : من الأفضل لكم أن تقبلوا الانذار ، فلديهم أعداد كبيرة من

الجنود ، والخطر يهددنا ، سوف نحتاج إلى كل الحيلة والدهاء لكىنجعلهميركعون أمامنا .

انجولرا : مهلا ! اذا كنت تعرف تحركاتهم فسوف نفسد عليهم لعبتهم ، وهناك ألف حيلة وحيلة يقاتل بها الشعب ، وسوف نتغلب على قوتهم .

جافير : لقد كنت أسترق السمع إليهم فعرفت خططهم ، لن يبدأوا بالهجوم الليلة وخطتهم أن يميتوكم جوعاً أولا قبل أن يقاتلوكم قتالاً حقيقياً ، ثم يكثفون قواتهم ويضربون من اليمين .

جافروش : كذاب .

مساء الخير يا عزيزى مفتش البوليس ، مساء الفل يا سيد الكل ! يا أصدقاء ، إنى أعرف هذا الرجل ، إنه مفتش البوليس جافير ، فلا تصدقوا كلمة مما يقول ، وإنما هذا يثبت ما يمكن للصغار أن يفعلوه ، والصغار من أمثالى يعرفون أننا قد نبدو

لقمة سائغة،لكننا عند اللزوم لنا أنياب ومخالب ننشبها فيمن يعادينا ، لذلك لا تتركوا كلباً لمجرد انه جرو صغير ، سوف نقاتل كأننا عشرون جيشاً ولن نستسلم !

جرانتير : برافو يا جافروش الصغير ! طلعت الأول على الفصل !

بروفيـر : إذن فماذا نفعل بهذا الثعبان الذى يتلوى فى الحشائش ؟

انجولرا : قيدوا هذا الرجل واحبسوه داخل الحانة هناك ، وسوف يقرر الشعب مصيرك بعد النصر أيها المفتش جافير .

كورفيراك : خذوا الوغد الآن !
واعدموه رمياً بالرصاص !

فـــوى : ولنرقبه وهو يتراقص من وخز الرصاص .

لــزلى : كنت ستفعل نفس الشئ أيها المفتش لو تركناك تأخذ فرصتك .

جـــافير : سواء أعدمتمونى الآن رمياً بالرصاص أو أعدمتمونى فيما بعد كصبية يلهون بلعبة فى أيديهم ،
فالموت جزاء كل خائن ، وأنا أرفض محكمتكم !

كومفير : رغم أن بعضنا قد يموت هنا ، فهناك أشياء لا تموت أبداً .

جرانتير : ما الفرق أن تموت تلميذاً ، أو شرطياً ، أو حتى جاسوسا ؟

أنجولرا : خذوا هذا الرجل ، واسجنوه ، فلدينا عمل لا بد أن نقوم به الآن .

جـولى : هناك صبى يتسلق المتاريس

ماريوس : يا إلهى ماذا تفعلين يا إبونين ، ألا تـخافين ؟
هل رأيت حبيبتى ؟ ولماذا عدت إلى هنا ؟

إبـونين : حملت رسالتك إليها كما قلت لـى ، وعندما
قابلت والدها عند الباب ، أخذ منى الرسالة وقال
إنه سيوصلها إليها .
(تسـقط إبونين)
لا أستطيع أن أقف على قدمىّ .

ماريوس : إبونين ، ماذا بك ؟ دماء فى شعرك !
إبونين لقد جرحتِ ، أين الطبيب أين الطبيب ؟

إبـونين : لا تفزع يا سيد ماريوس فأنا لا أشعر بأى ألم .
وحتى بعض رذاذ المطر لا يمكن أن يؤلمنى الآن .
أنت هنا ، معى ، وهذا كل ما أريده ، وسوف
تحمينى ،

وسوف تضمنى وستنموا الأزهار من المطر .

ماريوس : لكنك ستعيشين يا إبونين ، يا إلـهى الذى فى السماء ، لو أننى أستطيع أن أشفى جروحك بكلمات الحب .

إبـونين : فقط ضمنى الآن . خذنى بين ذراعيك ، وابعث السكينة فى قلبى .

ماريوس : ستعيشين مائة عام ، ليتنى أستطيع أن أبرهن لك الآن إننى لن أتركك مدى الحياة .

إبـونين : المطر لا يمكنه أن يؤلمنى الآن . هدأ المطر سوف يغسل ما قد كان ، ولسوف تحمينى ، ولسوف تضمنى ، ولسوف أنام أخيراً بين ذراعيك .

ماريوس : نامى يا حبيبتى إبونين

فلن تشعرى بالألم بعد الآن وقليل من المطر لن
يؤلمك بعد الآن أنا هنا بجانبك
سوف أبقى بجانبك حتى تنامى .
(إبونين تموت)

إبـونين : المطر الذى جا ء بك إلى هنا مبارك من الله .
السماء تصفو وأنا أخلد الآن إلى الراحة .
أنفاسك قريبة منى وهأنذا قد عدت إلى بيتى فلا
تفزع يا ماريوس لم أعد أحس بأى ألم وقليل من
المطر لا يمكن أن يؤلمنى الآن.هذا كل ما أريد أن
أعرفه ولسوف تحمينى ولسوف تضمنى
والمطرسيجعل الزهور ... تنمو .

انجولرا : إنها أول مَنْ يسقط ..
أول مَنْ يسقط منا عند المتاريس .

ماريوس : كان أسمها إبونين ، كانت حياتها باردة ومظلمة
ومع ذلك فلم تكن تخاف .

كومفير : باسمها سوف نقاتل .

برفير : ولن يكون موتها سدى .

لـزلى : ولن نخونها !

جـولى : ها هو ذا رجلٌ يرتدى الزى العسكرى يتقدم إلى هنا .. ما الذى أتى بك إلى هذا المكان .

فالجـان : جئت هنا متطوعا .

جـولى : تقدم وأرنا وجهك .

حـارس : إنك ترتدى زى الجيش .

فالجـان : ولهذا سمحوا لى بالمرور .

جـولى : إنك متقدم فى السن يا سيدى .

فالجـان : استطيع أن أفعل الكثير .

جـولى : أرأيت ذلك السجين هناك ؟

جرانيتر : إنه متطوع مثلك !

كومفير : جاسوس يسمى نفسه « جافير »

جرانيتر : سينال نفس المصير .

حـارس : إنهم يستعدون للهجوم .

(أنجولرا يعطى فالجان ، الذى لا يحمل ، بندقية)

أنجولرا : خذ هذه وعليك أن تجيد استخدامها ، ولكن إذا عنّ لك أن تطلق علينا الرصاص من الخلف فلن تعيش حتى ترى نتيجة فعلتك .

طالب ١ : الضابط بلاتون يتقدم نحو المتاريس .

طالب ٢ : ومن خلفه خمسون جنديا أو يزيد .

(هجوم شديد يشتد على المتاريس)

فالجان : أطلقوا الرصاص !

(الهجوم)

فوى : قناص !

لولى : انظروا كيف يطلقون سيقانهم للريح .

جرانيتر : بحق الله ، لقد حققنا انتصارا اليوم !

أنجولرا : سيعودون مرة أخرى ، وسيهاجمون مرة أخرى ولما قمت به من بطولة ، ولما تتمتع به من حضور البديهة ، فسوف أقدم لك الشكر يا سيدى عندما نحرز النصر فى النهاية .

فالجــان : لا تشكرنى يا سيدى ، تستطيع أن تفعل شيئا آخر من أجلى .

أنجولرا : إذا كان ذلك فى استطاعتى .

فالجــان : سلمنى الجاسوس جافير ، ودعنى أتصرف فى أمره !

جــافير : الحق أصبح باطلاً ، والباطل أصبح حقاً ..
الدنيا أصبحت بالمقلوب ..

أنجولرا : أفعل ما يجب عليك أن تفعله ، فالرجل بين يديك.
العدو الآن يعيد تنظيم صفوفه فاستعدوا .
هيا يا أصدقاء ، عودوا إلى أماكنكم فالليل يهبط بسرعة .

فالجــان : ها نحن أولاء نتقابل ثانية .

جـافير : لقد كنت تشتاق إلى هذه اللحظة طيلة حياتك ..
نفذ إذن انتقامك .
ولتنهِ كلَ شيءٍ بضربة سكين .

(فالجـان يقطع قيود جافير بالسكين)

فالجـان : أنت تتكلم أكثر من اللازم ، أنت آمن على حياتك
معى .

جافير : لا أفهم .

فالجـان : اهرب من هنا .

جافير : احذر يا فالجـان ، إنى أحذرك ..

فالجـان : اذهب من هنا ، هيا ! .

جافير : إذا كنت يوما لصاً ، فستظل دائما لصاً .

وما تحتاج إليه ستظل دائما تسرقه !

انت تقايض حياتك بحياتى ، نعم يا فالجـان

أنت تريد أن تعقد معى صفقة !

أما أنا فلا يهمنى ، اضربنى بالرصاص الآن ! إذا أردت

أما إذا تركتنى أهرب ، فلتحذر .

فأننى سأظل وراءك حتى أقبض عليك ..

فالجـان : أنت مخطئ .. « طول عمرك كنت غلط » !

أنا رجل ليس أسوأ من بقية الناس .

أنت حر ، ولن أفرض عليك شروطاً لأطلق سراحك .

لا صفقات ولا توسلات

ليس فى نفسى أى ضغينة ، فقد كنت تؤدى

واجبك لا أكثر ولا أقل ، وإذا خرجت حياً من

هذه المعركة ستجدنى فى منزل رقم ٥٥ بشارع بلوميه ، ولا أشك فى أن أقدارنا ستدفعنا لأن نتقابل مرة أخرى .

(يطلق فالجان رصاصة فى الهواء ، يهرب جافير)

أنجولرا : كورفيراك ، تولَ الحراسة ، لن يشنوا هجوماً آخر قبل الفجر ، أما أنتم جميعاً ، فلتظلوا متيقظين طوال الليل ، لا بد أن نكون مستعدين للقتال ، للمعركة الحاسمة ، لا ينام أحدكم الليلة !
ماريوس ، استرح .

فوى : أشرب معى نخب أيام مضت ،
غنِ معى أغنياتٍ شدونا بها معا .

بروفير : نخب كل الفتيات الجميلات اللائى أدرن رؤوسنا.

جـولى : نخب كل الفتيات الذكيات اللائى جئن إلى فراشنا .

الثلاثة معاً : نخبهن ونخبنا !

جرانيتر : أشرب معى نخب أيام مضت .

أيمكن أن يكون هو الخوف من الموت ؟

وهل سيذكرنا العالم عندما نسقط ؟

أيمكن أن يكون هو الشعور بأن موتنا لايهم أحدا ؟

وهل حياتنا مجرد أكذوبة أخرى ؟

الرجال : اشرب معى نخب الأيام التى مضت .

نخب الحياة التى عشناها .

فى محراب الصداقة لا تذكر أبداً كلمة الموت

هذا نخبك

وهذا نخبى !

النساء : اشرب معى نخب الأيام التى مضت .

نخب الحياة التى عشناها .

فلتظل خمر الصداقة سائلةً أبد الدهر ،

هذا نخبك .

وهذا نخبى !

ماريوس : ماذا يهم لو مت وهى الآن تعبر البحر ؟

الحياة بدون كوسيت لا تعنى أى شئ !

هل تبكين يا كوسيت إذا مات ماريوس ؟

هل تبكين يا كوسيت على موتى ؟

فالجان : تبارك الله فى عليائه ، اسمع دعائى يا الله !

فقد كنت دائماً بجوارى فى وقت الشدة .

إنه ما يزال شاباً – وهو خائف – فلتبعث فى نفسه السكينة ،

ولتجعله مباركاً منك يا الله .

ابعث فى نفسه السكينة ،

ابعث فى نفسه السكينة ،

ابعث فى نفسه السكينة .

هو الابن الذى كنت أتمنى أن أنجبه

لو أن الله كان قد وهبنى ابناً .

صيف يمر وراء صيف

بسرعة البرق

والأيام تمر وقد أصبحتُ الآن عجوزا

وقريباً أرحل .

أبعث فى نفسه السكينة ،

أمنحه من عندك الفرح

فهو مازال شابا ، مازال صبيا .

يارب أنت قادر على كل شئ ،

تعطى من تشاء وتحرم من شاء

فلتمنحه الحياة

إذا كان مقدراً علىّ أن أموت فلأمت .

ولكن أمنحه هو الحياة ، وأمنحه السكينة والسعادة .

أبعث فى نفسه السكينة ،

أبعث فى نفسه السكينة ،

أبعث فى نفسه السكينة .

(يشرق الفجر)

أنجولرا : لم يستيقظ الناس بعد نومهم ، ولقد تركنا هؤلاء الذين مازالوا يعيشون فى دوامة الخوف ، الشعب لم يسمع بنضالنا ، لكننا لم نترك هؤلاء الذين لم يسمعوا بنا ، فلنقلل قدر الإمكان من عدد الضحايا ولا نضيع حياتنا سدى ، إليكم أوامرى ، كل الناس ، وكل الرجال الذين لديهم أولاد عليهم أن يذهبوا الآن من هنا !

فوى : اشرب معى نخب أيام مضت .

غنِ معى أغنيات شدونا بها معا .

الجميع : فى محراب الصداقة ،

أرفع كأسك عاليا

ولتظل خمر الصداقة سائلة أبد الدهر .

فإذا متنا

متنا معاً !

أنجولرا : ما هو موقفنا الآن يا فوى ، هيا اعطنى تقريرك ؟

فوى : لدينا ما يكفى من البنادق ، لكن هناك نقص فى الذخيرة .

ماريوس : دعنى أجوب الشوارع القريبة فهى مليئة بجثث الجنود ، ومنها أحصل لكم على ما يكفى من الذخيرة والرصاص .

أنجولرا : لن أسمح لك بالذهاب فهى مخاطرة كبرى .

ماريوس : نفس الشئ ينطبق على أى واحد منا هنا .

فالجان : دعونى أذهب أنا ! فهو ليس أكثر من صبى ، أما أنا فعجوز ، وليس لدى ما أخشاه .

(جافروش يتسلق المتاريس ذاهبا بالفعل)

جافروش : أنتم تحتاجون إلى شخص سريع الجرى ، وأنا هذا الشخص !

لزلى : عد يا جافروش ، فلا ترتكب هذه الحماقة .

جولى : فليشده أحدكم وينزله فورا .

جافروش : لقد وصلت تقريباً ، وعبرت المتاريس .
قد نبدو صيداً سهلا ، لكن مخالبنا قوية .
فلا تركل كلبا لأنه مجرد جرو.
سوف نقاتل كعشرين جيشا ، ولن نستسلم ،
فإذا شب الجرو عن الطوق ، فلا أحد يقف فى طريقه ، ولتحتموا وراء أى شئ حتى لا ينشب فيكم مخالبه !
(جنود العدو يعاجلون جافروش برصاصة فيسقط ميتاً)

(صوت من ميكروفون اليد يعطى تحذيرا)

أنتم يا من تقفون وراء المتاريس ، استمعوا إلىّ :

سكان باريس ينامون كلٌ فى فراشه

ولا أمل لكم ، لا أمل على الإطلاق

وليس أمامكم ســوى الاستسلام ، حتى

لا تفقدوا حياتكم !

٤ – المعـركـــة :

أنجولرا : فلنمت ونحن نواجه أعداءنا ..
ولنجعل دماءهم تنزف قدر الإمكان ..

كومفير : وليدفعوا الثمن غاليا .

كورفيرياك : فليدفعوا أغلى الأثمان لقاء كل واحد يسقط منا

أنجولرا : ولسوف يخرج جيل جديد ، يأخذ مكاننا حتى

(الجميع عند المتاريس يسقطون قتلى ما عدا فالجان وماريوس الذى يصاب بجروح ويرقد فاقد الوعى)

(فالجان ينقذ ماريوس ويحمله على كتفه وينزل به من فتحه تؤدى إلى أنفاق المجارى ، تحت باريس . . وبينما هما يختفيان يعود جافير إلى المتاريس ويأخذ فى البحث عن فالجان وسط الجثث ، وعندما لا يجده يدرك أن فالجان هرب بالطريقة الوحيدة الممكنة - أى إلى أنفاق المجارى)

٥ – أنفاق المجارى – الكلب يأكل الكلب :

(يظهر دناردييه فى أنفاق المجارى وهو يحمل جثة على كتفيه)

دناردييه : هاهى ذى فتفوته ذهب محشوة فى أحد أسنانه ، بعد اذنك يا سيدى .
فلن تحتاج هذه مرة أخرى .
أعتقد أنه يمكن بيعها بسهولة .
فلأضيفها إلى الكوم ،
فلأضيفها إلى الغنائم .
هنا وسط فئران المجارى ،
على بعد أنفاس معدودة من الجحيم ،
تعتاد بعد فترة على الرائحة الكريهة .
هذه الجثث الملقاة هنا وهناك ،
يا أصدقائى ، لابد لأحد أن ينظمها !
الطبل اختلط بالنابل

والجثث على الطرقات ، ولابد لأحد أن يجمع شتاتها ، أو بالأحرى يجمع ما تحمله من حاجات ومحتاجات . .

من قبيل تأدية خدمة للبلد !

ها هو ذا خاتم ثمين ، خاتم صغير وجميل . .

طبعا إذا تركته فهى جريمة كبرى .

شكراً يا سيدى ، أنا مدين لك ،

ها هى ذى لعبة أخرى ، هيا ، انزعها من يد هذا الفتى . .

فقلبه قد توقف عن النبض ، وقد عاش حياته القصيرة وانتهى .

نعم ، لابد لأحد أن ينظفها يا أصدقاء

قبل أن تختفى هذه «الغلة» تحت الوحل .

لابد لأحد أن يجمع ما تحمله هذه الجثث من حاجات ومحتاجات ، قبل أن تجرى المجارى بدمائهم .

إنه عالم يأكل فيه الكلاب الكلاب

حين تقتل من أجل عظمة فى الطريق

والله فى سمائه لا يتدخل فى الأمر ،
لأنه ميت مثل الجثة الميتة الملقاة عند قدمى .
انى أرفع رأسى صوب السماء
لا أرى سوى القمر يطل من فوق
قمر الحصاد يطل من فوق .

(دناردييه يذهب لسرقه فالجان ، لكنه يتعرف عليه فجأة فيهرب)

(يفيق فالجان ، يحمل ماريوس ويواصل رحلته فى أنفاق المجارى)
(المشهد التالى هو تتابع موسيقى)

إنه أنت يا جافير !
كنت أعرف انك لن تنتظر طويلا ،
الخادم الأمين للعدالة يقف ثانية فى موقعه !
(مشير إلى ماريوس) هذا الشاب لم يرتكب جريمة وهو فى حاجة إلى عناية الطبيب .

جافير : لقد حذرتك إنى لن استسلم أو ألين .

فالجان : ساعة أخرى ثم أصبح ملك يديك ، وأتعهد بأن أدفع كل مالك عندى من ديون .

جافير : (ساخرا) رسول الرحمة يعود ، ويتحدث عن العدالة !

فالجان : هيا ، فالوقت يمر سريعا ، انظر تحتك يا جافير فالفتى رجله والقبر ، لا تتشدد هكذا يا جافير ، فهناك حياة لابد من انقاذها .
خذه يا جافير قبل أن أغير رأيى .

جافير : وسوف أكون فى انتظارك
يا ٢٤٦٠١ .

٦- جسر على نهر السين

جافير : مَنْ هذا الرجل ؟

وأى شيطان هو لينصب لى هذا الفخ

ويتركنى أهرب و أحصل على حريتى ؟

لقد جاء دوره أخيرا ليضع خاتمة لأقدارى

يضرب صفحا عن الماضى ، ويطلقنى من اسارى ،

بضربة صغيرة ، من سكينة حين فك قيودى .

كان يملك الأنتقام ولكنه منحنى الحياة !

ملعون أنا إن عشت مدينا للص ..

ملعون أنا إن استسلمت أو لنت عند نهاية السباق

أنا القانون ، ولا أحد يسخر من القانون

وسوف أبصق ما ينتابنى نحوه من شفتى فى وجهه .

لا شىء على وجه الأرض مشترك بيننا

فإما فالجان وإما جافير .

كيف أسمح الآن لهذا الرجل أن يكون له جميل

عليّ ؟

هذا الرجل اليائس الذى طاردته دهراً هو الذى

منحنى الحياة ، منحنى الحرية .

كان يجب أن أهلك على يديه . .

وكان هذا حقه .

وكان حقى أيضا أن أموت

ولكن ، هأنذا أعيش ، ، غير أنى أعيش فى جحيم .

أفكارى تتشتت . . تتمزق . . تتطاير هنا وهناك

هل يمكن أن أصدق هذا الرجل ؟

هل يمكن أن أغفر له ما ارتكبه من آثام ؟

وهل يمكن إلغاء ما ارتكبه من جرم ؟

الشك الآن يمزقنى ، وأنا الذى لم يشك فى موقفى

طول هذه السنين . لى قلب من حجر ومع ذلك

فما يزال يرتعش .

أهو مخلوق من السماء ، أم قادم من الجحيم ؟

وهل يدرى هذا الرجل أنه عند ما منحنى حياتى

اليوم قتلنى أكثر ؟

انى أمد يدى لكنى أسقط

والنجوم سوداء باردة

وأنا أحدق فى فراغ عالم لا معنى له .

سوف أهرب الآن من هذا العالم ،

من عالم جان ڤالجان .

لا طريق أمامى ولا مكان . .

ولا سبيل أمامى للاستمرار

(يقذف بنفسه فى النهر الذى يفيض بالمياه)

النساء : هل رأيتموهم يذهبون إلى القتال ؟

«أطفال المتاريس الذين لم يعيشوا أكثر من ليلة ؟»

هل رأيتموهم يرقدون حيث ماتوا ؟

جاء الناس يهدهدونهم كأنهم فى المهد

ويمسحون جباههم الطاهرة والدموع تبلل عيونهم .

هل رأيتموهم يرقدون جنبا إلى جنب ؟

من سيوقظهم ؟

لا أحد سوف يوقظهم من هذا السبات .

لم يقل لهم أحد أن يوما من أيام الصيف قد يقتلهم

كانوا مجموعة من تلاميذ المدارس . .

لم يحمل أحد منهم بندقية فى حياته . .

يقاتلون من أجل عالم جديد . . وفجر جديد

يشرق مع شمس اليوم الآتى .

أين هذا العالم الجديد الآن وقد انتهى القتال ؟

لا شىء يتغير . . لن يتغير شىء . .

كل سنة طفل جديد . . وفم جديد يطلب الطعام .

إنها قصته كل يوم ، فما فائدة البكاء ؟

ما فائدة الدعاء إذا لم يكن هناك مَنْ يسمع هذا الدعاء ؟

ونظل ندور ندور ندور ندور ندور ندور فى فلك السنين .

دقائق تفضى إلى ساعات ، وساعات تفضى إلى سنين ،

ولا شىء يتغير ، لا شىء يستطيع أن يتغير

وندور ندور ندور لنعود إلى نقطة البداية .

الجميع : ونظل ندور ندور ندور لنعود إلى نقطة البداية .

ماريوس : حزن عميق يستعصى على البوح . . ألم عميق
يسرى فى النفس مسرى .
كراسى فارغه ، مناضد بلا أحد
فالأصدقاء جميعا قد ماتوا . . ورحلوا .

هنا كانوا يتحدثون عن الثورة
وهنا أشعلوا شرارتها
هنا كانوا يغنون للغد القادم
لكن الغد لم يأت قط .

من المنضدة فى ركن المقهى
كانوا يحلمون بعالم يولد من جديد
وهبوا مطلقين صيحتهم الرنانة
إنى أسمعهم الآن .

كلماتهم التى علت بالنشيد

أصبحت صلاتهم الاخيرة

فوق المتاريس الوحيدة عن الفجر .

آه يا أصدقاء . يا أصدقاء . . اغفروا لى أنى أعيش

وأنتم راحلون .

حزن عميق يستعصى على البوح

ألم عميق يسرى فى النفس مسرى السكين .

وجوه كالأشباح عند زجاج النافذة أشباح الرجال

تلقى بظلها على الأرض

وكراسى فارغة مرصوصة على مناصد فارغة

حيث لن يلتقى أصدقائى بعد الآن .

آه يا أصدقاء ، يا أصدقاء ، لا تسألونى

فلمَ كانت تضحيتكم بالحياة ؟

كراسى فارغة ، والمناضد فارغة

حيث لن يغنّى أصدقائى بعد الآن .

«يمر بعض الوقت ، ليوحى بأن ماريوس يتماثل للشفاء ، نراه وقد تشبثت كوسيت بذراعه لتساعده على المشى ، وهو الآن يمشى بخطوات أكثر ثباتا»

كوسيت : كل يوم يمر ، تمشى بخطوات أكثر ثباتا
الحمد لله ، قد تجاوزت المحنة . .

ماريوس : كل يوم يمر . . كل يوم . .
أتعجب من ذا الذى حمّلنى إلى هنا بعيدا
عن المتاريس !

كوسيت : لا تفكر فى الأمر يا ماريوس !
أمامنا العمر ، ولن أتركك تبعد عنى ، وسنكون
دائماً معاً كل يوم ، كل يوم .
ولسوف نذكر تلك الليلة . .
والأغنية التى غنيناها معا :
قلب مفعم بالحب .

دليل مفعم بك .

الكلمات قديمة . . لكنها دائماً صادقة ،

يومها ، ويا للكسوف ، لم تكن حتى تعرف

اسمى !

ماريوس : يا أنستى العزيزة ، أضاعنى يومها سحرُ

جمالك

كوسيت : قلب مفعم بالحب لا خوف لا ندم .

«اسمى ماريوس بوميرى»

ماريوس : كوسيت ، كوسيت .

كوسيت : رأيتك تنتظر هناك فعرفت أنى أحبك .

ماريوس : كنت أنتظرك

تحت أمرك .

كوسيت : طوع بنانك .

ماريوس و كوسيت : ولم يكن ذلك حلماً

لم يكن حلما على أى حال

فالجـان : لم تكن قط لى حتى أحتفظ بها إنها شابة ، إنها حرة .

الحب حديقة الشباب .

الحب سلطان .

الحب سلطان .

قلب مفعم بالحب انى أمنحكم هذا اليوم .

ماريوس : سيدى ، هذا يوم لن أنساه أبد الدهر .

فهل الشكر والعرفان

على أنك أعطيتنى كوسيت ، يكفيان ؟

بيتك سيكون معنا ، ولن يمر يوم

حتى نبرهن لك على قوة حبنا ، وسوف

تكون لنا والداً ،

ستكون والدا للجميع .

فالجـان : كفى كلاماً يا ولدى ، فهناك شىء أهم الآن .

لقد تحدثت حديث القلب ، ولابد أن أفعل مثلك .

هناك يا سيدى قصة عبودية وعار

لابد أن تعرفاها الان .

لم أحكها أبدا لكوسيت ، فقد كان لديها ما يكفيها

من الدموع .

هى لم تعرف الحقيقة قط . .

حقيقة تلـك القصة التى يجب أن تسمعاها الان !

كان يا ما كان هناك رجل اسمه جان فالجان

سرق رغيفاً من الخبز لينقذ حياة ابن أخته

وقضى فى سبيل ذلك تسعهَ عشر شتاء فى

السجن

وغسل جريمته بالعرق والدموع .

ومنذ سنوات بعيدة خرق قوانين العفو وعاش

حياة جديدة وهو متنكر .

كيف له أن يحكى لكوسيت ويحطم قلبها ؟

أما الآن فمن أجل كوسيت لابد من مواجهة هذا الأمر ،

إذ أنه إذا قُبض عليه فالعار سوف يلحق بها .

والان حان الوقت ليستمر فى الرحيل

ومن الآن لابد أن يواصل الهروب

من أنا ؟

من أنا ؟

ماريوس : أنت جان فالجان !

ما الذى أستطيع أن أفعله لأنقذك من هذا ؟

يا سيدى ، أنت لا تستطيع الرحيل ، .

فمهما قلت لحبيبتى كوسيت فلن تصدق أبدا .

فالجـان : اجعلها تصدق إنى ذهبت فى رحلة طويلة على درب طويل طويل . .

قل لها إن قلبى كان مليئا بكلمات الوداع ، هذا أفضل ، عدنى يا سيدى ألا تعرف كوسيت

شيئاً عن هذه القصة .

ماريوس : كلمة شرف .

فالجان : ما قلته ، هو السبب فى أنى لابد أن أرحل .

ماريوس : نعم ، لابد أن ترحل . . من أجل كوسيت .

٧- الزفــــــاف

(ماريوس وكوسيت يتقدمان موكب الزفاف)

الكورس الأول	الكورس الثانى
دقوا نواقيس الفرح	دقوا نواقيس الفرح
فى هذا اليوم الموعود	فى هذا اليوم الموعود
ولتحرس الملائكة	ولتحرس الملائكة فى السماء

فى السماء هذين	هذين العروسين
العروسين	توجوا هذا اليوم المبارك
توجوا هذا اليوم	بالحب والسلام
المبارك	
بالحب والسلام	

(يتحول موكب الزفاف إلى احتفال راقص على أنغام الفالس)

الحاجب : بارون وبارونه دى دى ذيناردييه يود ان تهنئه العروس .

ذناردييه : نسيت أين تقابلنا ، ألم يكن ذلك فى قصر لافارج .
حيث تقيأ الدوق فى قنا الدوقة ؟

ماريوس : لا يا بارون دى ذيناردييه ، فالأوساط التى أتحرك فيها أكثر تواضعا من ذلك بكثير ، أغرب عن وجهى يا ذناردييه . .
أتظن أنى لا أعرف من أنت ؟

مدام ذناردييه : لا يمكن استغفاله قلت لك .

أعرض على السيد ما جئت هنا لعرضه .

أخبر الفتى بما تعرفه .

ماريوس : عندما أنظر إليك أتذكر إبونين .

كانت أجمل وأنبل مما يستحقانه ، أنتما يا من

جئتما بنا إلى الحياة ، لكنها الآن فى رحاب الله ،

وأرجو أن تكون أسعد مما كانت على هذه

الأرض !

ذناردييه : هذا حال الدنيا .

يعلم الله إن الحياة وجهت لى ضربات فى منتهى

القسوة !

مدام ذناردييه : لديك المال والقلب الطيب ، وتستطيع

أن تجعلنا نبدأ بداية جديدة !

تستطيع أن نبرهن لك ، بما لا يقبل أنى شك .

إن والد عروسك ليس كما تظن .

ثناردييه : هناك حكاية أستطيع أن أحكيها . .

مدام ثناردييه : معلومات نحن على استعداد لبيعها لك . .

ثناردييه : إنه قاتل ، ذبح رجلاً ورأيت بعينى رأسى
الجثة كما أراك الآن أمامى .
ما أقوله هو الصدق .

مدام ثناردييه : من المؤسف أن نزعجك فى يوم زفافك ،
لكن خمسمائة فرنك ممكن أن تفى بالمطلوب .

ماريوس : بحق الله قل ما تريد أن تقوله .

ثناردييه : ادفع أولا .
ما رأيته ذاك المساء فى وضوح النور الساطع ،
هو جان فلجان فى أنفاق المجارى يحمل تلك
الجثة على ظهره ، ويقف هناك كأنه جوال قبيح

ضخم ، كنت هناك ، لا تخاف ،

وحتى عثرت هناك على هذا التذكار الجميل !

ماريوس : أنا أعرف هذا ، هذا الخاتم لى .

هذه بالتأكيد علامة من السماء !

ذناردييه : شىءآخر ، أنصت جيدا ، كان هذا يوم

سقوط المتاريس وهزيمة الثوار .

ماريوس : اذن فهو صحيح ، إذن فأنا على حق .

كان جان فلجان هو الذى أنقذ حياتى تلك الليلة .

أما أنت ، فخذ هذا أيضا !

وليغفر لنا الله كل ما نفعله !

تعالى يا حبيبتى ، تعالى يا كوسيت ،

بركات هذا اليوم لم تنتهِ بعد .

ذناردييه : أليست هذه نكته ؟

أليست هذه متعة ؟

إنه تسلل هنا ، وسط الطبقة الراقية

هنا أمير ، وهنا ثرى

وهنا أحد الشواذ ، ولكن ماذا أفعل ؟

ها هى ذى باريس ترتمى تحت أقدامى .

باريس فى التراب . .

وهأنذا اقتسم الخبز مع الناس «العليوى»

شحاذ فى المأدبه

سيد حلبات الرقص والهلس .

الحياة فرص

فاقتنص فرصتك واخطف واجر .

أينما تذهب تجد أناساً محترمين ، مستقيمين

. . يعيشون فى ظل القانون ، لكنهم لذلك

مفلسون !

يدعون الله أيام الأحد أن ينجيهم من شظف

العيش !

تناردييه وزوجته : لكن أمثالنا هم الذين يقتنصون فرصتهم .

أمثالنا هم الذين يصبحون أغنياء فى النهاية !

أنظر إلى هؤلاء الأغبياء وهم يرقصون
راقبهم حتى يسقطوا من الإعياء أو من السكر ..
ولتحتفظ برأيك دون أن تدور
ففى النهاية نقف على القمة .
يا أسياد الأرض ،
نحن نعرف أين تهب الريح
فالمال هو ما نشم رائحته بأسرع من البرق .
وعندما نصبح فى ثراء قارون
يا الهى ! سوف نلقى بكم جميعا فى الجحيم !

٨- مسكن فالجان :

فالجان : وحدى أنتظر فى الظل .
أمضى الساعات حتى أنام .
حلمت أن كوسيت تقف بجانبى
والدموع تنهمر من عينها عندما عرفت أنى أموت .

وحدى ، عند نهاية العمر ،
فى ليلة الزفاف هذه ، أدعو الله أن
يشمل العروسين بعطفه ورعايته ،
ويسبغ عليهما بركاته .

الله تبارك وتعالى ، استمع إلى دعائى
خذنى الآن إلى ساحتك
وفى رحابك دعنى أكون .

خذنى الآن إلى نعمائك
ودعنى أنعم بالقرب من سمائك
دعنى أعود إلى عليائك .

فانتين : سيدى ، مبارك هو اسمك
سيدى أطرح عنك كل الهموم .
تعهدت ابنتى بالحب حتى كبرت ولن يجازيك
خيراً سوى الله .

فالجـان : أنا الآن مستعد يا فانتين

في نهاية أيام العمر الحزين .

هي أجمل ما في حياتي هي أروع ذكرياتي

(يندفع ماريوس وكوسيت داخل الغرفة)

كوسيت : بابا ، بابا ، أنا لا أفهم ، هل أنت بخير ؟

قلت إنك سترحل .

فالجـان : كوسيت ، يا طفلتي ، لقد حصلت الآن على الغفران .

الحمد لله ، الحمد لله ، فقد عشت حتى أرى هذه اللحظة .

ماريوس : بل أنت الذي يجب أن تغفر لغافل أحمق .

أنت الذي يجب أن يغفر لناكر للجميل .

بفضلك أعيش ، وهأنذا أضع حياتي

فداء لك ، تحت قدميك .

كوسيت ، إن أباك قديس .

عندما جُرحت عند المتاريس حملنى على كتفيه

كما يحمل الأب طفله الوليد .

وجاء بى إلى حيث بيتى . . إليك . .

فالجـان : الآن أنتما بجانبى ،

والآن أستطيع أن أموت فى سلام

فالآن أصبحت حياتى مباركة عن عند الله .

كوسيت : سوف تعيش يا أبى، سوف تعيش ،

ما زال الوقت مبكرا ، مبكرا جدا ، لتقول وداعا !

فالجـان : نعم يا كوسيت ، امنعينى الآن من أن أموت

وسوف أطيع ،

وسوف أحاول .

على هذه الصفحة

كتابة اعترافى الأخير

اقرئيه جيدا عندما أكون ، أخيرا ،
قد نمت .
إنها قصة هؤلاء الذين أحبوك دائما
أمك بذلت من أجلك حياتها
ثم وهبتك لرعايتى .

فانتين : تعال معى حيث لا قيود ولا أصفاد تلتف
أبدا حول معصميك .
وهناك أخيرا أخيرا أخيرا تطرح وراءك
الأحزان كل الأحزان .
رباه فى عليائك . .
أسبغ عليه من نعمائك . .
واشمله برحمتك . .
يا رحمن . . يا رحيم !

فالجـــان : رب اغفر لى كل ما قد تجاوزت
وخذنى إلى مجدك فى أعلى عليين .

فالجان ، فانتين وابونين : خـذ بيدى إلى حيث الفردوس الطهور .

خـذ بـيـدى إلى حيث الحب ، فالحب

أبدى لا يموت .

واذكر دائماً حكمة القدماء .

الحـب طريـقـك دائـمـا لأن ترى وجـه

الله !

الجميع : أتسمعون الشعب يغنى

تائها فى دروب الليل ؟

إنها موسيقى الشعب

يتسلق الدرب إلى نور الفجر .

فمن أجل بؤساء هذه الأرض

هناك شعلة نورها لا يخفت . . لا يصيبها

الوهن

لا يلحق بها الانكسار . . أبدا لا تموت .

فحتى أكثر الليالى ظلاما سوف يشرق

عليها نور الصباح .

ولسوف يعيش الشعب ثانية فى نور

الحرية

فى بستان الله .

ولوسوف يحرث الشعب ثانية   الحقول

وينبذ السيف .

ولوسوف تنكسر هذه القيود

وترتفع مرة أخرى هامات الرجال .

فهل تنضم إلى صفوفنا التى تسير

نحو الفجر الجديد ،

مَنْ منكم يملك القوة ليقف بجانبنا ؟

فهناك وراء تلك المتاريس عالم نتوق

لأن نعيشه ، لأننا نراه .

هل تسمعون أغنية الشعب

هل تسمعون طبول النصر . .

يتردد صداها من بعيد .

طبول تجىء معها بالمستقبل

عندما يأتى الغد !

فهل تنضم إلى صفوفنا التى تسير
نحو الفجر الجديد ؟
مَنْ منكم يملك القوة ليقف بجانبنا ؟
فهناك وراء تلك المتاريس عالم نتوق
لأن نعيشه ، لأن نراه
وهل تسمعون أغنية الشعب
وهل تسمعون طبول النصر يتردد صداها
من بعيد ؟

طبول تجيء معها بالمستقبل
عندما يأتى الغد !

انتهت بحمد الله

■ **دار سعاد الصباح**

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلي نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة .

دار سعــاد الصبــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ ـ الكويت
ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة



البؤساء . . أخطر حدث مسرحى معاصر !

تتوجه أنظار جمهور المسرح وعشاقه فى العالم الآن إلى مسرح البالاس بلندن حيث يعرض أخطر حدث مسرحى فى أواخر الثمانيات وأوائل التسعينات وهو الكوميديا الموسيقية «البؤساء» المأخوذة عن رواية فكتور هوجو الشهيرة . . . ولا تنبع أهمية هذا العرض فقط من اعتماده على رواية مأساوية من عيون الأدب العالمى ، وانما قدرته على تحويل هذه المادة الروائية الكلاسيكية العظيمة إلى كوميديا موسيقية ذات ظلال انسانية وسياسية من الدرجة الأولى ، وفى عرض هو من الضخامة والثراء بحيث أن نطلق عليه بحق مسرحية العقد الأخير من هذا القرن .

ونقطة البداية فى نجاح هذا العرض الرائع هو اعتماده على نص أدبى كبير ، وهو الشئ الذى بدأ المسرح فى العالم ينتبه اليه من انتهاء موجات التجريب المتتالية والعودة إلى الينابيع الأصلية للفكر الانسانى . . ثم الجرأة فى تحويل هذا النص الأدبى بالذات – وهو نص شديد القتامة والمأساوية إلى كوميديا موسيقية تخاطب العصر فى أدق مشاكله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .



دار سعاد الصباح

